

الفوائد الدرية

من صحيح

الأحاديث النبوية

”شرح طائفة منتقاة من الحديث النبوي“

تأليف

أبي عاصم البركاتي الأثري

دار الهدى النبوي

١٤٤٥

الفوائد الدرّية

من صحيح

الأحاديث النبوية

"شرح طائفة منتقاة من الحديث النبوي"

كتبه

أبو عاصم البركاتي الأثري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤٤٥

المحتويات

- (١) ذم الكبر ، شرح حديث : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.....ص ٨
- (٢) تحريم الوشم، شرح حديث: لعن الله الواشمات والمستوشمات...ص ٣٠
- (٣) شرح حديثي خطبة عرفة ويوم النحر.....ص ٦٧
- (٤) شرح حديث توبة قاتل المائة نفس.....ص ٩٦
- (٥) فوائد التحرير بشرح حديث سعد بن أبي وقاص: الثلث كثير.....ص ١٣٤
- (٦) التبيان في شرح حديث: "الطهور شطر الإيمان".....ص ١٧٥
- (٧) شرح حديث " يا معشر النساء تصدقن ".....ص ١٩٤
- (٨) شرح حديث " احفظ الله يحفظك ".....ص ١٩٨
- (٩) تقريب الفوائد بشرح حديث جريج العابد.....ص ٢٣٣
- (١٠) فتح الولي المغني بشرح حديث : " من رغب عن سنتي فليس مني ".....ص ٢٨٥
- (١١) تحفة النفوس المطمئنة بشرح حديث " من يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبَهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ".....ص ٣١٣

(١٢) عون المنعم بشرح حديث "المسلم أخو المسلم".....ص ٣٤٤

(١٣) الشرح الموضوعي لحديث : " لَّا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا

.....ص ٣٦٢

(١٤) بديع الإنشا بشرح حديث " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ

أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .. " ص ٤٠٣

(١٥) دعاء كشف الكرب "الله الله ربي لا أشرك به شيئاً" .. ص ٤٣٧

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد:
فهذه شروح لعدد من الأحاديث النبوية الشريفة كنت كتبتها على
فترات مختلفة اعدادا لبعض الخطب المنبرية أو الدروس الوعظية، أو
البحوث العلمية، وكنت نشرت بعضها في مقالات على بعض المواقع
العلمية الإسلامية ثم رأيت أن أضم بعضها إلى بعض في مجموع
يضمها ويجمع شتات أفرادها، عسى أن ينتفع قارئ أو يستفيد باحث
فأحظى من ورائه بحسنة تنفعني أو بدعوة بالخير ترفعني، ومعلوم
فضل تبليغ الحديث وتعلم فقهه، أخرج أبو داود والترمذي وأحمد
عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "نَصَرَ اللَّهُ
امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ
أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ".

وعن أبي موسى الأشعري : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّهَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " . رواه البخاري (٧٩) ، ومسلم (٢٢٨٢).

فنسأل الله أن يرزقنا نضارة الوجوه ويزيننا بزينة العلم والإيمان ،
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد .

وكتب ذلك /

أبو عاصم الشحات شعبان البركاتي الأثري .

٠١٠٦٤٧٦٣١٩٥

ذم الكبر

شرح حديث : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

أبو عاصم البركاتي المصري

أخرج مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ" قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ".

وأخرجه الترمذي (١٩٩٩) وابن ماجه (٤١٧٣) وأحمد (٣٧٨٩) (٤٠٥٨).

معاني المفردات:

مثقال: وزن.

ذرة: هي النملة الصغيرة، أو ما يرى من هباء في ضوء الشمس.

حسنا: جميلا.

النعل: ما وقيت به القدم من الأرض؛ أو ما يلبس في القدمين ولا

يستر الكعبين.

الكبر: هو الزهو والتهيه والتعاضم؛ والخيلاء.

بطر: رفض ورد.

غمط: احتقار وازدراء.

فوائد الحديث

الفائدة (١): قوله ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ".

قال الزبيدي: الكبر: حالة يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره^(١).

والكبر حرام؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣).

وكلُّ ذنب يمكن التستُّرُ به وإخفاؤه إلا التَّكَبُّرُ؛ فإنه يلزمه المجاهرة والإعلان إما بالقول أو الفعل.

الفائدة (٢): قوله ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ" أي لا يدخل الجنة ابتداء؛ لأن الكبر ليس كفراً يخرج من الإسلام؛ بل هو معصية وليس كفراً؛ إلا أن يكون كبر الإباء

(١) تاج العروس (١٤ / ٨).

والإعراض؛ ككبر إبليس؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)؛ وكذا كبر فرعون وقومه؛ قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤).

وقد لا يدخل الجنة إلا بعد نزع ما في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر ولا غل في قلبه كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ . وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٥ - ٤٨).

الفائدة (٣): قول الرجل " إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً " .

تفيد إباحة الله تعالى طيبات الطعام والشراب اللباس بغير سرف ولا مخيلة؛ والنبي ﷺ أقره على ذلك؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٧﴾
(المائدة: ٨٧ - ٨٨).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢).

وقول النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ" أخرجه أحمد والترمذي وحسنه .

الفائدة (٤): النهي عن الغلو في المظهر؛ فقد روى أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني أن النبي ﷺ قال: "إن البذاذة من الإيوان، إن البذاذة من الإيوان" والبذاذة هي التواضع في اللباس.

والمقصود من التجمل إظهار نعمة الله، والتنعم والتجمل بها من غير إسراف ولا خيلاء، والمقصود بالبذاذة الحث على التواضع الذي يؤدي إلى عدم الانغماس في زينة الدنيا، والانشغال الزائد بها، وغلو الشخص بمظهره.

وأخرج أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ".

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ" أخرجه أحمد وابن ماجه وحسنه الألباني.

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ أو قال أبو القاسم ﷺ: "بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مر رجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة."

رواه البخاري (٣٢٩٧) ومسلم (٢٠٨٨).

الفائدة (٥): استحباب تجميل الثوب والنعل.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿الأعراف: ٣١ - ٣٢﴾.

وعن قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه قال : قلتُ له: أيُّ الثيابِ كان أحبَّ إلى النبيِّ ﷺ أن يلبسَها؟ قال: الحَبْرَةُ " متفق عليه؛ والحبرة ثوب من قطن أو كتان مخطط.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما، قال: كان النبيُّ ﷺ "مربوعاً، بعيداً ما بين المنكبين، له شعرٌ يبلغُ شحمةَ أُذنيه، رأيتُه في حُلَّةٍ حمراء، لم أر شيئاً قطُّ أحسنَ منه".

وكان ﷺ يحب من الثياب ما كان أبيض اللون، وقال في ذلك: "البسوا من ثيابكم البيضاء؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم." أخرجه أبو داود.

وقال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب".

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، أَوْ عَلَى النَّاسِ، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ". متفق عليه.

الفائدة (٦): قوله "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" يعرف بجواب الحكيم؛ لأنه ﷺ أضاف فائدة زائدة عن المسئول عنه؛ وهي اثبات اسم الجميل لله تعالى؛ والجمال صفة ثابتة لله تعالى؛ والجميل أي بلغ الغاية في الحُسن.

قال الشيخ الهراس في شرح نونية ابن القيم (٦٩ - ٧٠):
وأما الجميل؛ فهو اسم له سبحانه من الجمال، وهو الحسن الكثير، والثابت له سبحانه من هذا الوصف هو الجمال المطلق، الذي هو الجمال على الحقيقة؛ فإن جمال هذه الموجودات على كثرة ألوانه وتعدد

فنونه هو من بعض آثار جماله، فيكون هو سبحانه أولى بذلك الوصف من كل جميل؛ فإن واهب الجمال للموجودات لا بد أن يكون بالغاً من هذا الوصف أعلى الغايات، وهو سبحانه الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

أما جمال الذات؛ فهو ما لا يمكن لمخلوق أن يعبر عن شيء منه أو يبلغ بعض كنهه، وحسبك أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم وأفانين اللذات والسرور التي لا يقدر قدرها، إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله؛ نسوا كل ما هم فيه، واضمحل عندهم هذا النعيم، وودوا لو تدوم لهم هذه الحال، ولم يكن شيء أحب إليهم من الاستغراق في شهود هذا الجمال، واكتسبوا من جماله ونوره سبحانه جمالا إلى جمالهم، وبقوا في شوق دائم إلى رؤيته، حتى إنهم يفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب.

وأما جمال الأسماء؛ فإنها كلها حسنى ، بل هي أحسن الأسماء وأجملها على الإطلاق ؛ فكلها دالة على كمال الحمد والمجد والجمال والجلال ، ليس فيها أبدا ما ليس بحسن ولا جميل .

وأما جمال الصفات ؛ فإن صفاته كلها صفات كمال ومجد، ونعوت ثناء وحمد، بل هي أوسع الصفات وأعمها ، وأكملها آثارا وتعلقات، لا سيما صفات الرحمة والبر والكرم والجود والإحسان والإنعام .

وأما جمال الأفعال؛ فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويشكر ، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقته للحكمة والحمد ؛ فليس في أفعاله عبث ولا سفه ولا جور ولا ظلم ، بل كلها خير ورحمة ورشد وهدى وعدل وحكمة ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، ولأن كمال الأفعال تابع لكمال الذات والصفات؛ فإن الأفعال أثر الصفات، وصفاته كما قلنا أكمل الصفات ؛ فلا غرو أن تكون أفعاله أكمل الأفعال " انتهى

فَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّجَمُّلَ فِي اللَّبَاسِ الَّذِي لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْغِنَى، وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْكِبَرِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: فَقِيرٌ مُخْتَالٌ، وَشَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ."

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ الْجُشَمِيِّ قَالَ: رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيَّ أَطْمَارًا، فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟" قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟" قُلْتُ: مِنْ كُلِّ مَا آتَى اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ، قَالَ: "فَلْتُرْ نِعْمَتَهُ وَكَرَامَتَهُ عَلَيْكَ."

قال شيخنا الدكتور وحيد بالي وفقه الله :

فَعُلِمَ أَنَّ مِنَ الْفُقَرَاءِ مَنْ يَكُونُ مُخْتَالًا، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ مَنْ يَكُونُ مُتَجَمِّلًا غَيْرَ مُتَكَبِّرٍ، يُحِبُّ اللَّهُ جَمَالَهُ، مَعَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في الحديث الصحيح: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ، وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" (١). انتهى.

الفائدة (٧): قوله "الكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ" ومن الكبر رفض الحق ورده؛

ومنه كفر الإعراض؛ قال سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

قال تعالى عن إبليس: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال تعالى

عن فرعون: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩] وفي قوم صالح قال تعالى: ﴿قَالَ

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (الأحقاف: ٣).

(١) الهادة الحاضرة (١/ ٤٠٣).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة: ١٥).
وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ (النساء: ٦١).
وقال تعالى: ﴿سَاءَ صِرْفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أن رجلا أكل عند رسول الله

ﷺ بشماله، فقال: كل بيمينك قال: لا أستطيع! قال: لا استطعت ما

منعه إلا الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم

وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: "كُلُّ أُمَّتِي

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ:

"مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي".

وعن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: "يحشر المتكبرون يوم

القيامة أمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان،

فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار،

يسقون من عصارة أهل النار؛ طينة الخبال"؛ رواه الترمذي وقال:

"حسن صحيح"، وحسنه البغوي.

الفائدة (٨): من الكبر غمط الناس.

ومن الكبر احتقار الناس قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ

قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ

يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١]
قال ابن كثير في تفسيره: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو
احتقارهم والاستهزاء بهم".

قال تعالى مبينا عاقبة المستهزئين المحتقرين للمؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا
انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ
وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ
يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٤]

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

والهُمَزَةُ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزمهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب
الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفاعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله.

وروى أبو داود في "سننه" (٤٨٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها
 قالت: قلتُ للنبيِّ ﷺ : حسبك من صفة كذا وكذا - تعني
 قصيرة - فقال: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته".
 وروى البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة قال: قال ﷺ :
 "المسلمُ أخو المسلمِ ، لا يظلمُهُ ولا يخذلُهُ ، ولا يحقرُهُ ، التَّقوى ههنا -
 وأشار إلى صدره - بِحسبِ امرئٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاهُ المسلمَ".
 وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المعرور بن سويد
 قال: لقيتُ أبا ذر بالربذة وعليه حلّة وعلى غلامه حلّة، فسألته عن
 ذلك، فقال: إنني ساببتُ رجلاً فعيّرتَه بأمّه، فقال لي النبيُّ ﷺ : "يا
 أبا ذر، أعيّرتَه بأمّه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم،
 جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل،
 وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم
 فأعينوهم".

ومنه ما كان من ذلك الرجل صاحب الجنة الذي قال الله تعالى فيه
﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز
نفعاً﴾ (الكهف : ٣٤) .

الفائدة (٩): الحث على التواضع والأمر به.

قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
(الشعراء: ٢١٥). وقال سبحانه : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
(الحجر: ٨٨).

ونهى سبحانه وتعالى عن أزداد التواضع من الكبر والعجب
والخيلاء فقال تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ (لقمان:
١٨ - ١٩)

وقال الله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾
(الفرقان: ٦٣).

وفي تفسير الآية يقول ابن القيم في "مدارج السالكين" (٣/ ١٠٨) :
"أي: سكينه ووقارًا، متواضعين غير أشرين ولا مَرِحِينَ ولا
متكبرين، قال الحسن: علماء حلمااء.

وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة، لا يسفّهون، وإن سفّه
عليهم حلموا. والهون -بالفتح- في اللّغة: الرّفق واللّين، والهون -
بالضم-: الهوان فالمتفوح منه: صفة أهل الإيمان، والمضموم صفة
أهل الكفران، وجزاؤهم من الله النيران" انتهى.

وقال تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا
غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشُّعراء: ٢١٥).

وقال سبحانه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨).

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "أي: ألن جانبك لمن آمن بك،
وتواضع لهم".

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩).

وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤) قال السعدي في تفسيره "تيسير
الكريم الرحمن" (١/٤٥٦): حيث أمر الله بالتواضع للوالدين ذلًا
لهما ورحمة واحتسابًا للأجر".

وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قوله ﷺ: "ما نقصت صدقة
من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه
الله".

وقوله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخِرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ " رواه مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

وعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رِءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنْ أَيِّ حِلَلِ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا " رواه الترمذي وصححه الألباني.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ ضَعِيفٍ مَتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ.

وروى أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ابغوني في ضعفائكم، فإنها تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم ".

الفائدة (١٠) : المتكبرون ينازعون الله في صفة من صفاته، فهو كما

قال سبحانه: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر: ٢٣).

وفي حديث الإمام مسلم برقم (٢٦٢٠) فقال: عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَعْرَبِيِّ،

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْعِزُّ

إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ "

فالمتكبر اسم لله تعالى؛ ومعناه أي الذي تكبر عن كل ظلم وسوء

وشر ونقص، والذي تكبر عن صفات الخلق فلا شيء مثله.

علاج الكبر: ومن علاج الكبر معرفة نعم الله على العبد قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

ومن طرق علاج الكبر أن يرى الإنسان نفسه كالناس وأنهم مثله

ولدوا من أم وأب كما ولد وأن التقوى هي المعيار الحق.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان : ١٧-١٨).

قال القرطبي في تفسيره (١٠ / ٢٦٠) :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ وهذا نهى عن الخيلاء وأمر بالتواضع ، والمرح : شدة الفرح ، وقيل : التكبر في المشي ، وقيل : تجاوز الإنسان قدره .

وقال قتادة : هو الخيلاء في المشي ، وقيل : هو البطر والأشر ، وقيل : هو النشاط .

وهذه الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين : أحدهما : مذموم ، والآخر : محمود .

فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الإنسان قدره : مذموم .

والفرح والنشاط محمود . انتهى

وليعلم الإنسان أن أسباب الكبر ما لا كان أو علما فهو إلى زوال .

قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٤٩).

وقال عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨).

وكذلك القوة فهي زائلة؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (فصلت: ١٥).

ولو كان الداعي للكبر النسب أو المنصب فإن النبي ﷺ قال: "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" رواه مسلم برقم (٢٦٩٩)؛ وقد قال كذلك ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمُثَلَ لَهُ عِبَادُ اللَّهِ قِيَامًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

فالعلم والقوة والنسب والمنصب والجاه وما سوى ذلك كل إلى زوال وفناء لا محالة؛ وخير الزاد التقوى.

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

روائع الكلمات

بشرح حديث

" لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ "

وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ "

أعدّه

أبو عاصم البركاتي المصري

متن الحديث

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؛ قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب؛ وكانت تقرأ القرآن؛ فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؛ فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؛ فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته؛ فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن؛ قال: اذهبي فانظري قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئاً فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها.

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في "صحيحه" فتح الباري (٨ / ٦٣٠)، كتاب التفسير، حديث رقم (٤٨٨٦). ومسلم في "صحيحه" شرح النووي (١٤ / ١٠٥ - ١٠٧) كتاب اللباس والزينة.

معاني المفردات:

لعن: اللعن هو الطرد والأبعاد من الخيرَ فَهُوَ مَلْعُونٌ؛ والجمع ملاعين؛ وَرَجُلٌ لَعِينٌ وَامْرَأَةٌ لَعِينٌ. (١)

الواشحات والمستوشحات: الوشم: أن يُغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره، أو يخضر. (٢)

- المتمصّات: النامصة: التي تتف الشعر من وجهها، والمتمصّاة: التي تأمر من يفعل بها ذلك. (٣)

(١) المعجم الوسيط (٨٢٩/٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٩ / ٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (١١٩ / ٥).

- المتفلجات: الفلج: فرجة ما بين الثنايا والرباعيات، والمتفلجات:

النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين. (١)

- لم نجامعها: نطلقها ولم نصاحبها.

صحابي الحديث:

عبد الله بن مسعود بن غافل الصحابي القارئ الملقن، والغلام المعلم، والفقيه المفهم، كنيته أبو عبد الرحمن، وأم عبد الله بن مسعود هي أم عبد بنت عبد ود أسلمت ولها صحبة. وكان صاحب سر رسول الله ﷺ وسواكه وسواده ونعله وطهوره وكان رجلاً نحيفاً قصيراً شديد الأدمة، ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين فدفن بالبقيع، وكان يوم توفي فيما قيل: ابن بضع وستين سنة، كان إسلامه قديماً في أول الإسلام في حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب قبل إسلام عمر بزمان، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمر به رسول الله ﷺ وأخذ شاة حائلاً من تلك الغنم فدرت عليه لبناً غزيراً.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥ / ٤٦٨).

فوائد الحديث

فائدة (١) : السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، وحكم رسول الله هو حكم الله.

ودليله أن ابن مسعود رضي الله عنه صدر كلامه بقوله: "لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشْمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ" ثم قوله رضي الله عنه " وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ " وليس هذا في كتاب الله وإنما هو من كلام رسول الله ﷺ ؛ وبذلك يؤكد ابن مسعود رضي الله عنه على أن السنة هي وحي من الله تعالى لرسوله ﷺ .
ومن الأدلة على ذلك :

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣ - ٤).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿الأنعام: ٥٠﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (آل عمران: ٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء : ٥٩)،

ويقول تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران : ٣١)

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء : ٦٥)

وروى أبو داود وأحمد عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله
ﷺ أنه قال: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ
شَبَعَانٌ عَلَى أَرِيكْتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ
فَأَحَلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرَّمُوهُ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ
الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ وَلَا لُقْطَةٌ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَعْنِي

عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْتَبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاةٍ".

فائدة (٢) : شدة اتباع ابن مسعود رضي الله عنه لرسول الله ﷺ وجهاده للبدع وأصحابها وتقريره للسنة وتعظيمها.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إنها ستكون أمور مشتهات، فعليكم بالتؤدة، فإن الرجل يكون تابِعاً في الخير، خير من أن يكون رأساً في الضلالة" (١).

وقال ابن مسعود أيضاً: "إنكم أصبحتم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول" (٢).
وقال أيضاً: "إياكم وما يحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً، حتى يخرج الإيمان

(١) "الإبانة الكبرى" لابن بطة (١٨٤، ١٨٥).

(٢) "الإبانة" لابن بطة (١٨٨) و"السنة" لمحمد بن نصر (٦٥).

من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم عز وجل، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب"، قيل: يا أبا عبد الرحمن، فإلى أين؟ قال: إلى لا أين، قال: يهرب بقلبه ودينه، لا يجالس أحداً من أهل البدع.^(١)

وعنه أيضاً قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتهم، وكل بدعة ضلالة"^(٢)

وقال أيضاً: « إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإنما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين »^(٣).

(١) "اعتقاد أهل السنة" للالكائي (١٩٦).

(٢) أخرجه : الطبراني في "الكبير" (٨٦٨٢) والدارمي في "السنن" (٢٠٥) وابن بطة في "الإبانة" (١٨٢، ١٨٣).

(٣) رواه البخاري (٧٢٧٧) والدارمي (٢٠٧).

وعن عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة الهمداني قال سمعتُ أبي
يُحدِّثُ عن أبيه قال: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ
صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشِينَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا، فَجَلَسَ
مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا
عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آيَةً أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا
خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسْتَرَاهُ - قَالَ - رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ
قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا يَتَنَظَّرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ
حَصَى فَيَقُولُ: كَبُرُوا مِائَةً، فَيَكْبُرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلَّلُوا مِائَةً، فَيَهَلَّلُونَ
مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبَّحُوا مِائَةً فَيَسْبِّحُونَ مِائَةً. قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ:
مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتَظَرُ رَأْيِكَ أَوْ أَنْتَظَرُ أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ
يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ. ثُمَّ مَضَى

وَمَضِينَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلِيقِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيُحْكَمَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكْتَكُمْ، هُوَ لِأَنَّ صَحَابَةَ نَبِيِّكُمْ - ﷺ - مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ وَأَنْبِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ ، وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحِي بَابِ ضَلَالَةٍ. قَالُوا : وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ : وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، وَأَيْمُ اللَّهِ مَا أَدْرَى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ. ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ : رَأَيْنَا عَامَّةَ أَوْلِيكَ الْحَلِيقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانَ مَعَ الْخَوَارِجِ. (١)

(١) أخرجه : الدارمي (٢١٠) وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (٢٠٠٥).

فائدة (٣) : أدب المرأة مع ابن مسعود رضي الله عنه وذلك حينما جاءته مستفهمة ولم تسارع إلى تغليظه أو تخطئته.

وهذا هو الواجب مع العلماء والمشايخ فلا ينبغي المسارعة إلى تغليظهم إذا أشكل علينا بعض كلامهم بل نأتيهم متعلمين مستفهمين.

قال طاووس بن كيسان: "من السنّة أن يوقّر العالم" (١)
وقال عامرُ الشّعبي: أمسك ابنُ عباسٍ بركاب زيد بن ثابتٍ، فقال:
"أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟"، قال: "إنّا هكذا
نصنع بالعلماء" (٢).

ولنا أسوة حسنة في رسول الله موسى عليه السلام حينما قال للعبد
الصالح : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾
(الكهف:٦٦).

(١) جامع بيان العلم - لابن عبد البر (١ / ٥١٩).

(٢) "الجامع لأخلاق الراوي" للخطيب البغدادي (١ / ١٠٨).

فائدة (٤): قال ابن حجر العسقلاني: **أُمُّ يَعْقُوبَ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَا يُعْرَفُ اسْمُهَا وَهِيَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ وَلَمْ أَقِفْ لَهَا عَلَى تَرْجَمَةٍ وَمَرَّاجِعَتَهَا بِنِ مَسْعُودٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهَا إِدْرَاكًا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.** (١)

فائدة (٥): ابن مسعود رضي الله عنه يعلمنا أصول الاستدلال على الأحكام في الإسلام.

وأصول الأحكام لدى أهل السنة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما تفرع عنهما من إجماع أو قياس معتبر؛ وانظروا إلى فعل الشافعي رحمه الله ودقة فهمه واستنباطه للأحكام؛ فقد ورد في السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٣٤٧) برقم (١٠٠٥٥) بسنده إلى عبيد الله بن محمد بن هارون الفرّيابي، قال: **سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ بِمَكَّةَ ، يَقُولُ: " سَلُونِي مَا شِئْتُمْ أُجِبْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ مَا تَقُولُ فِي الْمُحْرَمِ**

(١) فتح الباري (٨/٦٣٠).

يُقْتَلُ زُنْبُورًا؟ ، قَالَ: " نَعَمْ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧) "

وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ رَبِيعِيٍّ ، عَنْ

حُذَيْفَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي

بَكْرٍ وَعُمَرَ "

وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ

طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " أَنَّهُ أَمَرَ

الْمُحْرَمَ بِقَتْلِ الزُّنْبُورِ "

ورد في "تفسير القرطبي" (١٨ / ص ١٧):

قال علماؤنا: وهذا جواب في نهاية الحسن، أفتى بجواز قتل الزنبور في

الإحرام، وبين أنه يقتدي فيه بعمر، وأن النبي ﷺ أمر بالاعتداء به،

وأن الله سبحانه أمر بقبول ما يقوله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة.

فائدة (٦): ذهب ابن حجر العسقلاني كما في "الفتح" (١٠ / ٣٧٣) إلى: جَوَازِ نِسْبَةِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْإِسْتِنْبَاطُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ نِسْبَةَ قَوْلِيَّةٍ فَكَمَا جَازَ نِسْبَةَ لَعْنِ الْوَاشِمَةِ إِلَى كَوْنِهِ فِي الْقُرْآنِ لِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ * مَعَ ثُبُوتِ لَعْنِهِ ﷺ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يُجُوزُ نِسْبَةُ مَنْ فَعَلَ أَمْرًا يَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ خَبَرِ نَبِيٍِّّ مَا يَدُلُّ عَلَى مَنْعِهِ إِلَى الْقُرْآنِ فَيَقُولُ الْقَائِلُ مَثَلًا لَعْنِ اللَّهِ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ فِي الْقُرْآنِ وَيُسْتَنَّدُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ ﷺ لَعْنَهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ.

فائدة (٧): التحذير من أسباب اللعن والعياذ بالله.

وكل ذنب ترتب عليه لعن فهو من الكبائر؛ لذا يجب الحذر من أسباب اللعن؛ فقد ورد في الكتاب والسنة ذنوب وأوزار ترتب عليها اللعن؛ قال تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ * (البقرة: ٨٩).
 وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ * (هود: ١٨ - ١٩).

وقوله تعالى في شأن قوم فرعون : ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ﴾ (هود: ٩٩).

وقوله ﷺ لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ، فَتُقَطَّعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ، فَتُقَطَّعُ يَدُهُ" (١)

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرَّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيَهُ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ". [مسلم (١٥٩٨)].
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ"
[البخاري (٥٨٨٥)].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه " : لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ" [مسلم (١٩٧٨)]

(١) البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

وقوله الله ﷺ: "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" متفق عليه.

وثمة ذنوب أخرى تجر على صاحبها اللعنة والعياذ بالله وليس المقام ههنا محل بحث واستقصاء.

فائدة (٨): التحذير من لعن من لا يستحق اللعن.

فقد نهى النبي ﷺ عن لعن المعين بل نهى عن لعن الدواب والبهائم؛ وفي الحديث عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا، رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ، فَإِنْ كَانَ لِدَلِكْ أَهْلًا، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا" (١).

(١) أبو داود (٤٩٠٥)، وحسنه الألباني - رحمه الله - في "صحيح الجامع" (١٦٧٢).

وقال الإمام النووي: اعلم أنَّ لعن المسلم المصون حرامٌ بإجماع العلماء. (١)

وقال ابن تيمية: الإجماع منعقدٌ على تحريم لعنة المعين من أهل الفضل. (٢)

قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم: قوله ﷺ لا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا، وَلَا يَكُونَ اللَّعَّانُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " فِيهِ الزَّجْرُ عَنِ اللَّعْنِ، وَأَنَّ مَنْ تَخَلَّقَ بِهِ لَا يَكُونُ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ الْجَمِيلَةَ، لِأَنَّ اللَّعْنَةَ فِي الدُّعَاءِ يُرَادُ بِهَا الْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ الدُّعَاءُ بِهَذَا مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ بَيْنَهُمْ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَجَعَلَهُمْ كَالْبُنْيَانِ يُشَدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَكَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، فَمَنْ دَعَا عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِاللَّعْنَةِ، وَهِيَ الْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

(١) "الأذكار" للنووي (ص: ٥٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى " لابن تيمية (١٥٨/٢٠).

تَعَالَى. فَهُوَ مِنْ نِهَايَةِ الْمُقَاتِلَةِ وَالتَّدَابُرِ، وَهَذَا غَايَةٌ مَا يَوَدُّهُ الْمُسْلِمُ
لِلْكَافِرِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِ، وَهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: " لَعْنُ الْمُؤْمِنِ
كَقَتْلِهِ " لِأَنَّ الْقَاتِلَ يَقْطَعُهُ عَنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا، وَهَذَا يَقْطَعُهُ عَنْ نَعِيمِ
الْآخِرَةِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: مَعْنَى " لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ " فِي الْإِثْمِ،
وَهَذَا أَظْهَرَ " انتهى.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " لَيْسَ
الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ. (١)
وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ
اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٢)

(١) أحمد (٣٩٤٨) والبخاري في " الأدب المفرد (٣١٢)،
والترمذي (١٩٧٧).

(٢) مسلم (٢٥٨٩)، وأحمد في " المسند " (٢٧٥٦٩)، والبخاري في " الأدب
المفرد (٣١٦) وأبو داود (٤٩٠٧).

فائدة (٩): على الداعية أن يبدأ بنفسه، ويلتزم بما يدعو الناس إليه.

ظهر ذلك من ابن مسعود رضي الله عنه حين: قَالَتْ الْمَرْأَةُ فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الْآنَ قَالَ اذْهَبِي فَاَنْظُرِي قَالَ فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا فَقَالَ أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا.

قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة .

وقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف .

وقول الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾

وقد ذم الله تعالى أقواما تعلموا العلم ولم يعملوا به ، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿الجمعة: ٥﴾؛ قال المفسرون : ﴿الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ﴾

هم بنو إسرائيل الأخبار المعاصرون لرسول الله ﷺ، و﴿حملوا﴾

معناه : كلفوا القيام بأوامرها ونواهيها، فهذا كمال حمل الإنسان

الأمانة، وليس ذلك من الحمل على الظهر، وإن كان مشتقاً منه ،

وذكر تعالى أنهم ﴿لم يحملوها﴾، أي لم يطيعوا أمرها، ويقفوا عند

حدها حين كذبوا بمحمد عليه الصلاة والسلام، و﴿التوراة﴾ تنطق

بنبوته ، فكان كل حبر لم ينتفع بما حمل كمثل حمار عليه أسفار.

وقال الحسن البصري - رحمه الله - : " العالم الذي وافق علمه عمله،

ومن خالف علمه عمله فذلك راوية سمع شيئاً فقله " .

وقال الثوري: "العلماء إذا علموا عملوا ، فإذا عملوا شغلوا" .

فائدة(١٠): تحريم الوشم في أي موضع من مواضع البدن.

وهو مستفاد من الحديث من قوله ﷺ: " لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ

وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ ؛" وفي الصحيحين أيضا عن ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ «لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ».

قال السيوطي في "الديباج على صحيح مسلم" (٥ / ١٦٠):
والواشمة هِيَ فاعلة الوشم بالشين الْمُعْجَمَة وَهِيَ أَنْ تَغْرَزَ إِبْرَةً
وَنَحْوَهَا فِي شَيْءٍ مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُّ ثُمَّ تَحْشُو ذَلِكَ الْمَوْضِعَ
بِكحْلٍ أَوْ نُورَةٍ فَيَخْضِرُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ هِيَ الَّتِي تَطْلُبُ فِعْلَ ذَلِكَ بِهَا.

وقال النووي في "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" (١٤ /
١٠٦) عن الوشم : هُوَ حَرَامٌ عَلَى الْفَاعِلَةِ وَالْمَفْعُولِ بِهَا بِاخْتِيَارِهَا
وَالطَّالِبَةِ لَهُ وَقَدْ يُفْعَلُ بِالْبِنْتِ وَهِيَ طِفْلَةٌ فَتَأْتُمُ الْفَاعِلَةَ وَلَا تَأْتُمُ الْبِنْتَ
لِعَدَمِ تَكْلِيفِهَا حِينَئِذٍ قَالَ أَصْحَابُنَا هَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَشِمَ يَصِيرُ
نَجِسًا فَإِنْ أُمِكنَ إِزَالَتُهُ بِالْعِلَاجِ وَجَبَتْ إِزَالَتُهُ وَإِنْ لَمْ يُمَكِنْ إِلَّا بِالْجِرْحِ
فَإِنْ خَافَ مِنْهُ التَّلَفَ أَوْ فَوَاتَ عَضْوٍ أَوْ مَنْفَعَةَ عَضْوٍ أَوْ شَيْئًا فَاحِشًا
فِي عَضْوٍ ظَاهِرٍ لَمْ تَجِبْ إِزَالَتُهُ فَإِذَا بَانَ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَإِنْ لَمْ يَخَفْ شَيْئًا
مِنْ ذَلِكَ وَنَحْوِهِ لَزِمَهُ إِزَالَتُهُ وَيَعْصِي بِتَأْخِيرِهِ وَسَوَاءٌ فِي هَذَا كُلِّهِ الرَّجُلُ
وَالْمَرْأَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فائدة (١١) : تحريم النمص.

والنامصات جمع متمصة؛ والمتنصات بتقديم التاء على النون وروى بتقديم النون على التاء التي تطلب إزالة شعر الوجه والحواجب بالمنهاص وهو حديدة يؤخذ بها الشعر.

وقال أبو داود "صاحب السنن" رحمه الله في سننه (٧٨ / ٤) :
"والنامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه".

قال ابن الأثير في "جامع الأصول" (٧٧٩ / ٤) : النمص ترفيق الحواجب وتدقيقها طلباً لتحسينها، والنامصة التي تصنع ذلك بالمرأة، والمتنمصة التي تأمر من يفعل ذلك بها، والمنهاص المنقاش. اهـ وجاء في "تهذيب اللغة" (١٢ / ١٤٨) : النَّمَصُ : دِقَّةُ الشَّعْرِ وَرِقَّتِهِ حَتَّى تَرَاهُ كَالزَّغَبِ . وَرَجُلٌ أَنْمَصُ الرَّأْسِ أَنْمَصُ الْحَاجِبِ ، وَرَبِّمَا كَانَ أَنْمَصُ

الْجَبِينِ . وَامْرَأَةٌ نَمَصَاءٌ تَنْمَصُ ، أَي : تَأْمُرُ نَامِصَةً فَتَنْمِصُ شَعْرَ وَجْهِهَا نَمَصًا ، أَي : تَأْخُذُهُ عَنْهَا بِخَيْطٍ .

وفي "تاج العروس" (١٨ / ١٩١) : النَّامِصَةُ مُزِينَةُ النِّسَاءِ بِالنَّمْصِ.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ الَّتِي تَنْتِفُ الشَّعْرَ مِنَ الْوَجْهِ.

وَالْمُتَمِّصَةُ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ الْمُتَمِّصَةُ، بِتَقْدِيمِ النُّونِ

عَلَى التَّاءِ، وَهِيَ الْمُزِينَةُ بِهِ، وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي تَفْعَلُ ذَلِكَ بِنَفْسِهَا

وَالنَّمْصُ، مُحَرَّكَةً: رِقَّةُ الشَّعْرِ وَدِقَّتُهُ حَتَّى تَرَاهُ كَالزَّغَبِ، قَالَ الْفَرَّاءُ.

وَرُجُلٌ أَنْمَصُ الرَّأْسِ، وَأَنْمَصُ الْحَاجِبِ، وَرُبَّمَا كَانَ أَنْمَصَ الْحَاجِبِ،

وَرُبَّمَا كَانَ أَنْمَصَ الْجَبِينِ إِذَا رَقَّ مُؤَخَّرُهُمَا، كَمَا فِي الْأَسَاسِ. وَامْرَأَةٌ

نَمْصَاءٌ. انْتَهَى

قلت : بذا علمنا أن النمص هو نتف الشعر من الحاجبين وترقيقها؛

وكذا نتف الشعر من الجبين والوجه؛ هذا لغة وهو واضح لكل ذي

عينين؛ وسيأتي معنا ترخيص بعض الفقهاء بإزالة المرأة لشعر اللحية

والشارب وما شابه إلا أنهم منعه في الحاجبين.

ونقل الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (١٠ / ٣٧٧) عن الطبري

قوله : "لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها،

بزيادة أو نقص التماس الحسن، لا للزوج ولا لغيره كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما، توهم البلج، وعكسه".
وقد خص بعض أهل العلم التحريم إذا كان من باب التدليس، أو إنه محمول على ذوات الريب وهن الفواجر، أما للزوج فيحمل النهي على التنزيه.

قال القرطبي: وهذه الأمور كلها قد شهدت الأحاديث بلعن فاعلها وأنها من الكبائر، واختلف في المعنى الذي نهى لأجلها، ف قيل : لأنها من باب التدليس، وقيل : من باب تغيير خلق الله تعالى كما قال ابن مسعود، وهو أصح، وهو يتضمن المعنى الأول، ثم قيل : هذا المنهي عنه إنما هو فيما يكون باقيا؛ لأنه من باب تغيير خلق الله تعالى، فأما ما لا يكون باقيا كالكحل والتزين به للنساء فقد أجاز العلماء ذلك.^(١)

(١) تفسير القرطبي " (٥ / ٣٩٣) .

وفي الفروع لابن مفلح (١ / ١٠٠) : وأباح ابن الجوزي النمص

وحده، وحمل النهي على التدليس ، أو أنه كان شعار الفاجرات . وفي

الغنية يجوز بطلب زوج. اهـ

والنمص منهي عنه عموماً؛ وليس هو مما اختصت به الفاجرات؛ فلو

كان النمص مما اختصت به الفاجرات ما تجرأت المرأة على أن تقول

لابن مسعود : "فإني أرى أهلك يفعلونه" .

أقوال بعض العلماء في حكم نمص الحاجبين:

قال الإمام النووي في "شرح مسلم" (١٤ / ١٠٦):

وَأَمَّا النَّامِصَةُ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ فَهِيَ الَّتِي تُزِيلُ الشَّعْرَ مِنَ الْوَجْهِ،

وَالْمُتَنَمِّصَةُ الَّتِي تَطْلُبُ فِعْلَ ذَلِكَ بِهَا، وَهَذَا الْفِعْلُ حَرَامٌ إِلَّا إِذَا نَبَتَ

لِلْمَرْأَةِ لَحْيَةٌ أَوْ شَوَارِبٌ فَلَا تَحْرِمُ إِزَالَتَهَا بَلْ يَسْتَحَبُّ عِنْدَنَا، وَقَالَ بَن

جرير: لا يجوز حلق لحيتها ولا عنفقتها ولا شاربها ولا تغيير شيء من

خلقتها بزيادة ولا نقص؛ وَمَذْهَبُنَا مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ اسْتِحْبَابِ إِزَالَةِ

اللَّحِيَّةِ وَالشَّارِبِ وَالْعَنْقَقَةِ وَأَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَوَاجِبِ وَمَا فِي
أَطْرَافِ الْوَجْهِ . انتهى

وقال في "المجموع شرح المهذب" (٣ / ١٤١) بعد أن ذكر حديث
ابن مسعود رضي الله عنه: وَالنَّامِصَةُ الَّتِي تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِ الْحَاجِبِ
وترققه ليصير حسنا والتمتمصة الَّتِي تَأْمُرُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا.

وقال ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" (١٠ / ٣٧٨): "قَالُوا:

وَيَجُوزُ الْحَفُّ وَالتَّحْمِيرُ وَالتَّقْشُ وَالتَّطْرِيفُ إِذَا كَانَ بِإِذْنِ الزَّوْجِ لِأَنَّهُ
مِنَ الزَّيْنَةِ وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ امْرَأَتِهِ أَنَّهَا
دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ وَكَانَتْ شَابَةً يُعْجِبُهَا الْجَمَالَ فَقَالَتِ الْمُرَاةُ تَحْفُ
جَبِينَهَا لِزَوْجِهَا فَقَالَتْ أَمِيطِي عَنْكَ الْأَذَى مَا اسْتَطَعْتِ . وَقَالَ
النَّوَوِيُّ: يَجُوزُ التَّزْيِينُ بِمَا ذُكِرَ إِلَّا الْحَفَّ فَإِنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ النَّمَاصِ ."

وقال القسطلاني في "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري":

(المتنمصات) بضم الميم الأولى وكسر الثانية مشددة بينها فوقية فنون

والصَادُ مهملة جمع متمصّة الطالبة إزالة شعر وجهها بالنتف ونحوه وهو حرام إلا ما ينبت بلحية المرأة أو شاربها فلا بل يستحب.

وقال الماوردي الشافعي في "الحاوي الكبير" (٢ / ٢٥٧) : فَأَمَّا النَّامِصَةُ، وَالْمُتَمِّصَةُ: فَهِيَ الَّتِي تَأْخُذُ الشَّعْرَ مِنْ حَوْلِ الْحَاجِبَيْنِ وَأَعَالِي الْجُبَّةِ، وَالنَّهْيُ فِي هَذَا كُلِّهِ عَلَى مَعْنَى النَّهْيِ فِي الْوَاصِلَةِ، وَالْمُسْتَوْصِلَةِ.

ورأي ابن حجر الهيتمي في "الكبائر" بحرمة النمص مطلقاً ففي "الزواجر": "والواصلة التي تصل الشعر بشعرٍ آخر، والواشمة التي تفعل الوشم وهو معروف، والنامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه كذا قال أبو داود، والأشهر ما قاله الخطابي وغيره أنه من النمص، وهو نتف شعر الوجه، والمتفلجة هي التي تفلج أسنانها بنحو مبرد للحسن، والمستوصلة والمتمصّة والمستوشمة المفعول بها ذلك.

وقال السيوطي: والنامصات بالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ الَّتِي تَزِيلُ الشَّعْرَ مِنَ الْوَجْهِ وَالْمُتَمِّصَاتِ الَّتِي تَطْلُبُ فِعْلَ ذَلِكَ بِهَا قَالَ النَّوَوِيُّ : وَهَذَا

الْفِعْلُ حَرَامٌ إِلَّا إِذَا نَبَتِ لِلْمَرْأَةِ لَحْيَةٌ أَوْ شَوَارِبٌ فَلَا يَحْرَمُ إِزَالَتَهَا بَلْ يَسْتَحَبُّ وَالنَّهْيُ خَاصٌّ بِالْحَوَاجِبِ وَمَا فِي أَطْرَافِ الْوَجْهِ (١).

وجاء في كتاب "الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي" (٣)

/١٠٣) الذي كتبه ثلاثة من كبار الشافعية المعاصرين وهم الدكتور مصطفى الحنّ، والدكتور مصطفى البُغا، والشيخ علي الشُّرْبُجِي:

وهذه الثلاثة - الوشم، والنمص، والتفليج - حرام على الرجال والنساء، لا فرق بين الفاعل والمفعول به، ذلك لورود اللعن عليه، ولا يلعن إلا على فعل محرّم، بل على كبيرة من الكبائر.

ثم قالوا: ما يستثنى من تحريم ما سبق:

(١) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٥/ ١٦٢) بتحقيق شيخنا أبي إسحاق

الحويني؛ ط دار ابن عفان.

يستثنى من تحريم النمص، إزالة ما نبت في وجه المرأة، من لحية، وشارب، فلا يحرم إزالتهما، بل يستحب، لأن النهي إنما هو لما في الحواجب، وما في أطراف الوجه.

وكذلك إذا احتيج إليه لعلاج، أو عيب في السن، فلا بأس به، لأن المحرّم إنما هو المفعول لطلب الحسن، والتجميل، والتغيير لخلق الله عزّ وجلّ. انتهى.

الرد على من قال أن علة التحريم أنه كان من شعار الفاجرات:

وقد خص بعض أهل العلم التحريم إذا كان من باب التدليس، أو إنه محمول على ذوات الريب وهن الفواجر، أما للزوج فيحمل النهي على التنزيه.

وفي "الفروع" لابن مفلح (١ / ١٠٠) : وأباح ابن الجوزي النمص وحده، وحمل النهي على التدليس، أو أنه كان شعار الفاجرات . وفي الغنية يجوز بطلب زوج. اهـ

والجواب: أن النمص منهي عنه عموماً بغير ما تعللوا به؛ وليس هو مما اختصت به الفاجرات؛ فلو كان النمص مما اختصت به الفاجرات ما تجرأت المرأة على أن تقول لابن مسعود: "فإني أرى أهلك يفعلونه".

قال القرطبي المفسر في تفسيره (٥ / ٣٩٣):

وهذه الأمور كلها قد شهدت الأحاديث بلعن فاعلها وأنها من الكبائر، واختلف في المعنى الذي نهى لأجلها، فقيل: لأنها من باب التدليس، وقيل: من باب تغيير خلق الله تعالى كما قال ابن مسعود، وهو أصح، وهو يتضمن المعنى الأول، ثم قيل: هذا المنهي عنه إنما هو فيما يكون باقياً؛ لأنه من باب تغيير خلق الله تعالى، فأما ما لا يكون باقياً كالكحل والتزين به للنساء فقد أجاز العلماء ذلك .

ونقل الحافظ ابن حجر كما تقدم في "فتح الباري" (١٠ / ٣٧٧) عن الطبري قوله: " لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقها التي خلقها الله

عليها، بزيادة أو نقص التماس الحسن، لا للزوج ولا لغيره كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما، توهم البلج، وعكسه".

التمص بقصد التزين للزوج:

ذهب بعض الشافعية إلى جواز التمص بقصد التزين للزوج؛ وذلك لكمال الإحصان؛ قال الخطيب الشربيني: وَالتَّئْمِصُ: وَهُوَ الْأَخْذُ مِنْ شَعْرِ الْوَجْهِ وَالْحَاجِبِ لِلْحُسْنِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّغْيِيرِ. أَمَّا إِذَا أَذِنَ لَهَا الزَّوْجُ أَوْ السَّيِّدُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ؛ لِأَنَّ لَهُ غَرَضًا فِي تَزْيِينِهَا لَهُ وَقَدْ أَذِنَ لَهَا فِيهِ^(١).

ولم أجد لهم مستندا في تجويزه بإذن الزوج؛ إلا أثر عائشة رضي الله عنها؛ ولا يصح فقد أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٥١٠٤) (٣/١٤٦) وابن الجعد في المسند (٤٥١) عن امرأة أبي إسحاق أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها وكانت شابة يعجبها الجمال،

(١) مغني المحتاج (١/٤٠٧).

فقلت: المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقلت: أميطي عنك الأذى ما استطعت.

وهو من رواية امرأة أبي إسحاق السبيعي واسمها العالية بنت أيفع بن شراحيل؛ وهي مجهولة أو على رسم المجهول؛ قال الدارقطني عن العالية: "مجهولة، لا يُحْتَجُّ بها".

وقال ابن عبد البر في "التمهيد" (١٨ / ٢٠): "مجهولة". لكن ذكرها ابن حبان في "الثقات" (٥ / ٢٨٩).

وأخرجه أبو يوسف في "الآثار" برقم (١٠٤٧) عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَائِشَةَ بِهِ.

وإسناده منقطع لأن إبراهيم النخعي لم يسمع من عائشة رضي الله عنها.

قلت: وبفرض صحة الأثر فهو لا يقوى على معارضة خبر ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما.

فخبر ابن مسعود مرفوع وأثر عائشة موقوف.

وحديث ابن مسعود أقوى وأسند وأثر عائشة ضعيف.

وأثر عائشة فتوى أما حديث ابن مسعود فحكم عام.

فائدة (١٢): تحريم تفلج الأسنان.

وهو مستفاد من قوله ﷺ في الحديث: "وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ".

والتفلج بردُ الأسنان بالمبرد للتفريق بينها للحسن.

قال الفوزان: أما إذا كانت الأسنان فيها تشويه وتحتاج إلى عملية تعديل لإزالة هذا التشويه أو فيها تسوس واحتاجت إلى إصلاحها من أجل إزالة ذلك، فلا بأس لأن هذا من باب العلاج وإزالة التشويه ويكون ذلك على يد طيبة مختصة.

فائدة (١٣): وَاسْتُدِلَّ بِالْحَدِيثِ عَلَى جَوَازِ لَعْنِ مَنْ اتَّصَفَ بِصِفَةٍ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ اتَّصَفَ بِهَا لِأَنَّهُ لَا يُطْلَقُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ^(١).

(١) فتح الباري (٨ / ٦٣١).

فائدة (١٤) : **تحريم تغيير خلق الله إلا بإذن شرعي**. من ذلك التغيير

بالوشم أو النمص أو تفلج الأسنان أو وصل الشعر؛ لما في ذلك من طاعة للشيطان؛ فقد توعد بذلك كما حكى الله تعالى قوله :
﴿وَلَا مَرَمَّهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء ١١٩).

وعن ابن عباس، قال: «لُعِنَتِ الْوَاصِلَةُ، وَالْمُسْتَوِصِلَةُ، وَالنَّامِصَةُ، وَالْمُتَنَمِّصَةُ، وَالْوَاشِمَةُ، وَالْمُسْتَوِشِمَةُ، مِنْ غَيْرِ دَاءٍ» (١).

قال أبو داود: " وَتَفْسِيرُ الْوَاصِلَةِ: الَّتِي تَصِلُ الشَّعْرَ بِشَعْرِ النِّسَاءِ، وَالْمُسْتَوِصِلَةُ: الْمُعْمُولُ بِهَا، وَالنَّامِصَةُ: الَّتِي تَنْقُشُ الْحَاجِبَ حَتَّى تُرِقَّهُ، وَالْمُتَنَمِّصَةُ: الْمُعْمُولُ بِهَا، وَالْوَاشِمَةُ: الَّتِي تَجْعَلُ الْخِيلَانَ فِي وَجْهِهَا بِكُحْلٍ أَوْ مِدَادٍ، وَالْمُسْتَوِشِمَةُ: الْمُعْمُولُ بِهَا " . اهـ

وروى البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْمُنْذِرِ تَقُولُ سَمِعْتُ أَسْمَاءَ قَالَتْ: سَأَلْتُ امْرَأَةَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا

(١) أخرجه أبو داود (٤١٧٠) وأحمد (٢٢٦٣).

الْحُصْبَةُ فَاَمَّرَقَ شَعْرَهَا وَإِنِّي زَوَّجْتُهَا أَفْأَصِلُ فِيهِ؛ فَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ:
"الْوَأَصِلَةَ وَالْمَوْصُولَةَ".

وقال ابن سيرين لرجل سأله فقال: إن أُمِّي كانت تمشط النساء أترى لي أن آكل من مالها وأرثه عنها فقال إن كانت لا تصل فلا بأس هذا من ورع ابن سيرين رحمه الله^(١).

فائدة (١٥): يستفاد من الحديث أَنَّ الْمُعِينَ عَلَى الْمُعْصِيَةِ يُشَارِكُ فاعلمها في الإثم. وذلك مستفاد من قول ابن مسعود " أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا " يعني لو أنها خالف أمر الله ورسوله لطلقتها ولم أشاركها في الإثم.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (١٤ / ١٠٧): قَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَاهُ لَمْ نُصَاحِبْهَا وَلَمْ نَجْتَمِعْ نَحْنُ وَهِيَ بَلْ كُنَّا نَطْلُقُهَا وَنُفَارِقُهَا قَالَ الْقَاضِي وَيُحْتَمَلُ أَنَّ مَعْنَاهُ لَمْ أَطَاهَا وَهَذَا ضَعِيفٌ وَالصَّحِيحُ مَا سَبَقَ فَيُحْتَجُّ بِهِ

(١) التمهيد لابن عبد البر (٧/٢١٩)

فِي أَنَّ مَنْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ مَرْتَكِبَةٌ مَعْصِيَةً كَالْوَصْلِ أَوْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَوْ

غَيْرَهُمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انْتَهَى

هَذَا مَا تيسر والله من وراء القصد

الحمد لله

تسنيف الأسماع بالفوائد المستخرجة

من خطبتي رسول الله ﷺ

يوم عرفة ويوم النحر في حجة الوداع

أعدّه

أبو عاصم الشحات شعبان محمود البركاتي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد:
فهذه جملة من الفوائد حصلتها من خطبتي النبي ﷺ في يوم عرفة
ويوم النحر في حجة الوداع؛ وقد اشتملت الخطبتان على معاني عظيمة
وفوائد جمّة؛ وأصول من أصول الدين وأحكامه؛ وهي خطب مائعة؛
وللخير جامعة؛ وللشر ناهية ومانعة؛ وهي أشبه بوصية مودع للدنيا؛
مقبل على الآخرة، داع لأحسن الأعمال والأخلاق.

قال الشاعر:

ومن رام السعادة في ثقاهُ حمأه الله من شرّ اللئامِ
ومن عشق الجنان سعى إليها ففاز بصحبة الصحبِ الكرامِ
هذا وإنّي إذ أقدم ما كتبت وما جمعت راجيا من الله تعالى القبول
وحسن المصير؛ وشفاعة الرسول ﷺ؛ وما توفيقى إلا بالله وحده
وهو خير مسؤل وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم وبارك على محمد
وآله وصحبه.

خطبة يوم عرفة

أخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشْرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْمَلْ مِثْلَ عَمَلِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ جَابِرٌ: فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقَبَةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةٍ، فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقُصَوَاءِ، فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتَهُ هُذَيْلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَضَعُ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ

عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ
فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَهَنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ،
كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟" قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ
بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ
وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ "اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...

الحديث.

خطبة يوم النحر

أخرج البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو
الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ شَهْرٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى
وَشَعْبَانَ"، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:
فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟"

قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: "فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ الْبَلَدَةَ؟"، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: "فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟" قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا - أَوْ ضَلَالًا - يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضٌ مَن يُبَلِّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَن سَمِعَهُ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟"

وفي رواية أخرى في الصحيحين: "أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ"

وأخرجه كذلك البخاري وأحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرجه البخاري ومسلم كذلك من حديث ابن عمر رضي الله
عنهما.

وأخرجه البخاري ومسلم أيضا من حديث جرير بن عبد الله رضي
الله عنه.

فوائد الحديثين:

(١) ارتباط المعاني في الحديثين والتأكيد عليها فكأنهما حديث واحد
وخطبة واحدة؛ وذلك لتأكيد النبي ﷺ على المعاني العظيمة والقيم
النبيلة.

(٢) إبطال بعض أفعال الجاهلية؛ وذلك في قوله ﷺ "أَلَا كُلُّ شَيْءٍ
مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ" ومعنى موضوع أي هدر
متروك.

(٣) تعظيم حرمة الدماء والأموال والأعراض، وجعل حرمتها
كحرمة الشهر الحرام، والبلد الحرام، ويوم عرفة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ
عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ
وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٧﴾.

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ
قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ هَدِيًّا بِالِغِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا
لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٨﴾.

وقال تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾.



(٤) وضع دم الجاهلية، وذلك بقوله : " وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أُضِعَ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلْتَهُ هَذَا " .

ومعنى موضوع أي هدر متروك لا قصاص فيه.

حرمة الدماء المعصومة في الإسلام

أما في الإسلام فقد صان الله تعالى الأنفس ورتب عقوبة لمن تعدى عليها بالقتل أو الجرح؛ وتوعده في الآخرة بالعذاب العظيم؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٩٣).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ " .

وأخرج الشيخان كذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " .

وقوله ﷺ في خطبة يوم النحر : " فَلَا تَرْجِعَنَّ بَعْدِي كُفَّارًا - أَوْ
ضَلَالًا - يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " .

وأخرج البخاري وأحمد عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ ، مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا
حَرَامًا " .

وأخرج الشيخان البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه قال :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ
وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟
قَالَ : " إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ " .

وأخرج البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : " إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ
الْأُمُورِ ، الَّتِي لَا تَخْرُجُ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا ، سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ
حِلِّهِ " .

فالمسلم معصوم الدم والهال؛ فعن ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ" متفق عليه.

وكذا المعاهد والذمي والمستأمن؛ فأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قَالَ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تُوْجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا".

لأجل صيانة الأنفس المعصومة شرع الله القصاص ، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة).

فالقصاص واجب إلا أن يعفو ولي الدم أو يقبل الدية.

(٥) تحريم الربا (١). والربا: محرم في الشريعة الإسلامية لقوله تعالى:

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ

(١) الربا لغة بمعنى الزيادة؛ وربوة مكان مرتفع زائد عن سطح الأرض.

وشرعا: التفاضل في متفقي الجنس الربوي أو زيادة لأجل النساء (التأخير) أو تأخير التقابض فيما يلزم فيه التقابض من متفقي الجنس أو العلة .

وقيل: الزيادة الحاصلة بمبادلة الربوي بجنسه، أو تأخير القبض فيما يلزم فيه التقابض من الربويات، وقيل أيضاً في تعريفه الزيادة في أشياء مخصوصة والمقصود بها هنا الزيادة على رأس المال قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾.

أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١٠٨﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ قال: "قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ".

وضع وإهدار ربا الجاهلية وكذا في الإسلام

وضع رسول الله ﷺ الربا الذي كان شائعاً وفاشياً بينهم، وأول ربا وضعه ربا عمه العباس؛ وذلك ليكون قدوة في هذا الشأن يبدأ بنفسه وآله في تنفيذ الأوامر الربانية، فإن ذلك أدعى لقبول الناس، وتلك هي طريقة الأنبياء عليه السلام كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنِ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

(٦) تحريم التعدي على الأموال:

تحريم التعدي على الأموال؛ بكل صور التعدي من سرقة أو رشوة أو غصب أو ابتزاز أو ربا وغير ذلك من أشكال التعدي ؛ قال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة : ١٨٨).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة).

وقال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (سورة النساء).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (سورة النساء).

ونهى رسول الله ﷺ عن الغرر والجهالة والغش في البيع.

أخرج أحمد عن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: " مَنْ فَارَقَ الرُّوحَ الْجَسَدَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ: الْكِبْرَ، وَالذِّينَ، وَالغُلُولَ " وأخرجه الترمذي أيضا عن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الْكِبْرِ، وَالغُلُولِ، وَالذِّينِ دَخَلَ الْجَنَّةَ " والغلول هو السرقة من المال العام.

وقد شرع الله تعالى على السرقة حدا وهو قطع اليد قال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة المائدة).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرًا، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ ".

(٧) التأكيد على حرمة الأعراض:

وذلك في قوله ﷺ في خطبة يوم النحر: " فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا... ".

فحرم الله الزنا وحرَمَ قذف المحصنات؛ قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . وَالَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ

وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٨﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ" قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ" قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] الآية.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُرِبَ لِذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ لَهُ وَجْهُهُ قَالَ: فَأُنزِلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلُقِيَ كَذَلِكَ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ، قَالَ: "خُذُوا عَنِّي، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ هُنَّ سَبِيلًا، الثِّيبُ

بِالثَّيِّبِ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ، الثَّيِّبُ جِلْدُ مِائَةٍ، ثُمَّ رَجِمَ بِالْحِجَارَةِ، وَالْبِكْرُ
جِلْدُ مِائَةٍ، ثُمَّ نَفِي سَنَةٍ " أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وحرم الله تعالى دواعي الزنا وأسبابه فحرم الخلوة بالأجنبية وفي
الحديث عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ " أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ
إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ " أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وحرم النظر إلى الأجنبية قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ
أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠] ؛ ونهى النساء عن الخضوع بالقول
وحرم التبرج والسفور لغير الزوج؛ قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ
وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

(٨) الوصية بحسن عشرة النساء:

أوصى رسول الله ﷺ بإحسان عشرة النساء؛ وبين بعض الاحكام ومن ذلك ألا تأذن المرأة لأحد من غير محارمها؛ لأن ذلك يؤدي الزوج؛ قال الطيبي: أي لا يأذن لأحد أن يدخل منازل الأزواج والنهي يتناول الرجال والنساء؛ فيقول ﷺ: " فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحَلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"؛ قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

ثم بين ﷺ طرق تأديب الزوجة الناشز وذلك بالضرب غير المبرح؛ أي غير المؤذي؛ وذلك بعد الوعظ والتعليم والرفق؛ قال تعالى: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ

وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
كَبِيرًا ❁.

(٩) **وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة؛** لأن كتاب الله دل على

وجوب الاعتصام بالسنة ؛ وذلك في قوله ﷺ: " وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا
لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ ".

وأخرج الترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي
حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِثْرَتِي
أَهْلَ بَيْتِي.

وأخرج الحاكم والدارقطني وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ
تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ
الْحَوْضَ ".

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام بحبل الله تعالى، قيل: الاعتصام بعهد الله تعالى، وقيل: الجماعة، وقيل: القرآن، وقيل: عدم الفرقة.

روى أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه في سننها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرُقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي." أي: هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ

بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ
أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ . "ثُمَّ
قَالَ: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ بِي مَنْ مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمِنُ عَلَيْهِ
الْفِتْنَةُ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَهَا قُلُوبًا
وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكْلُفًا، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِلِقَامَةِ دِينِهِ،
فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
أَخْلَاقِهِمْ وَسِيرِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ ."

(١٠) وقوله ﷺ "وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟" قَالُوا: نَشْهَدُ

أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى
السَّمَاءِ وَيُنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ "اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "
يدل عليه قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "
يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ

بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَنَّ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ " وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ.

(١١) تحريم نسيء الأشهر الحرم.

وفي الحديث بيان أن الزمان قد عاد إلى هيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وأن الله قد أزال ما فعلته الجاهلية من نسيء الأشهر الحرم وتبديلها؛ فقال ﷺ "إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ شَهْرٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ".

تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ

الدِّينِ الْقِيَمِ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ
يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ
اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ❀.

النسيء معنى التأخير ؛ قال تعالى : ❀ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ
بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ❀ أخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" رقم (١٠٠١٥) عن ابن
عباس قَالَ: النَّسِيءُ: إِنْ جُنَادَةَ بَنَ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْكِنَانِيِّ كَانَ يُوَافِي
الْمُوسِمَ كُلِّ عَامٍ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا ثَمَامَةَ فَيُنَادِي، أَلَا إِنَّ أَبَا ثَمَامَةَ لَا يُحَابُّ
وَلَا يُعَابُّ، أَلَا وَإِنَّ عَامَ صَفْرِ الْأَوَّلِ حَلَالٌ، فَيُحِلُّهُ لِلنَّاسِ، فَيُحِلُّ
صَفَرَ عَامًا وَيُحَرِّمُهُ عَامًا وَيُحَرِّمُ الْمُحَرَّمَ عَامًا، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ❀ إِنَّمَا

النَّسِيءِ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ﴿١٠٠٢٠﴾

وأخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" رقم (١٠٠٢٠) عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ قال: المحرم كانوا يسمونه صفر، وصفر يقول: صفران الأول والآخر، يحلُّ لهم مرَّةً الأول، ومرَّةً الآخر.

وأخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" رقم (١٠٠٢١) عن مجاهد قال: كانوا يسقطون المحرم ثم يقولون: صفران، لصفر وشهر ربيع الأول ثم يقولون: شهر ربيع، لشهر ربيع الآخر والجمادى الأول ثم يقولون لرمان: شعبان ويقولون لسؤال: رمضان ويقولون لذي القعدة: سؤال ثم يقولون لذي الحجة: ذو القعدة ثم يقولون للمحرم: ذو الحجة، فيحجون في المحرم، ثم يأتون فيعدون على ذلك عدة مستقيمة على وجه ما ابتدوا، فيقولون: المحرم، فيحجون في المحرم ويحجون في كل شهر مرتين، ثم يسقطون شهرًا آخر، ثم يعدون على

الْعِدَّةِ الْأُولَى يَقُولُونَ: صَفْرٌ وَشَهْرُ رَيْبِ الْأَوَّلِ عَلَى نَحْوِ عَدَدِهِمْ فِي
أَوَّلِ مَا أَسْقَطُوا.

وأكد النبي على شهر رجب وأنه من الأشهر الحرم؛ فقال: " وَرَجَبٌ
شَهْرٌ مُضَرَّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ " .

لأن قبيلة مضر كانت لا تغيره بل توقعه في وقته بخلاف باقي العرب
الذين كانوا يغيرون ويبدلون في الشهور بحسب حالة الحرب عندهم
وهو النسيء المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

(١٢) أدب الصحابة مع الله ورسوله.

امثالاً وعملاً بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فلم يجيبوا رسول الله
ﷺ لما سأهم خشية أن يكون قد نزل في ذلك وحي من الله تعالى؛
ففي الحديث : " أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ " قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:
فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: " أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟ "
قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: " فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ " قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ

حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟"، قُلْنَا: بَلَى،
قَالَ: "فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى
ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟" قُلْنَا: بَلَى يَا
رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ،
كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا... الْحَدِيثُ.

وقد كان الصحابة نهوا عن كثرة السؤال ففي الصحيحين ، عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "دَعُونِي مَا تَرَكْتُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ
فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ".

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ
الْبَادِيَةِ الْعَاقِلِ، فَيَسْأَلُهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، الْحَدِيثُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: سُؤَالُهُ ﷺ عَنِ الثَّلَاثَةِ وَسُكُوتُهُ بَعْدَ كُلِّ سُؤَالٍ مِنْهَا
كَانَ لَا اسْتِحْضَارَ فَهُومِهِمْ وَلِيُقْبَلُوا عَلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِمْ وَلِيَسْتَشْعِرُوا عَظَمَةَ

مَا يُخْبِرُهُمْ عَنْهُ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَ هَذَا فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ إِخْ مُبَالِغَةً فِي بَيَانِ
تَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. انْتَهَى [فتح الباري (١/١٥٩)]

(١٣) بيان أن الحساب على الأعمال آت لا شك؛ "وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ

فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ"؛ قال تعالى : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ
الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾؛ وقال تعالى :
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

وقال سبحانه : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴾.

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال
الله تعالى : " يَا عِبَادِيَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ
أُوْفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ
ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ".

(١٤) الأمر بالبلاغ عنه ﷺ وسنته

وذلك في قوله ﷺ: "أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلِّغُهُ
يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ".

وأخرج البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "بَلِّغُوا
عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ
مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

وأخرج أبو داود والترمذي وأحمد عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى
يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ
بِفِقْهِهِ".

وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ:
سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ،
فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ.

وعند الترمذي كذلك بلفظ : "نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا
وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ".

(١٥) إقامة الحجة على الناس وإقرارهم على أنفسهم؛ وذلك في قوله
ﷺ : " وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟" قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ
بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ
وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ "اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...
الحديث.

والله تعالى يقول : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى
اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

انتهى

والله وحده من وراء القصد

الفوائد المستنبطة

من حديث

توبة قاتل المائة نفس

كتبه

أبو عاصم البركاتي المصري

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،
أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً
وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ،
فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ:
لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ
عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟
فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يُحْوَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا
وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى
أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ
الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ
مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ
الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيِّ،

فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِنَّ كَانَ
أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ،
فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ."

وفي رواية أخرى أخرجها مسلم في صحيحه عن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " أَنْ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ هَلْ
لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَآتَى رَاهِبًا، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَيْسَتْ لَكَ تَوْبَةٌ، فَقَتَلَ الرَّاهِبَ،
ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَلَمَّا كَانَ
فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَذْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ، ثُمَّ مَاتَ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ
مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا
بِشِيرٍ، فَجَعَلَ مِنْ أَهْلِهَا ."

وفي رواية لمسلم أيضًا: " فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ: أَنْ تَبَاعِدِي، وَإِلَى هَذِهِ:
أَنْ تَقْرَبِي ."

معني المفردات:

رَاهِب: عابد غير عالم.

اِخْتَصَمَتْ: اختلفت.

أَدْنَى: أقرب.

نَأَى: مال وتوجه.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: جواز الحديث عن أهل الكتاب.

والمنقول عن أهل الكتاب ثلاثة أنواع:

الأول: ما يُعَلِّم صحته بالنقل عن النبي وهو صحيح مقبول.

وكذا إذا كان له شاهد من الشرع يؤيده.

الثاني: ما يُعَلِّم كذبه فلا يصح قبوله ولا روايته.

الثالث: مسكوت عنه لا هو من الأول ولا من الثاني، فلا نؤمن به

ولا نكذبه، وتجاوز حكايته للحديث: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا

تُكذِّبُوهُمْ، وَقَوْلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا". وهذا القسم غالبه مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني^(١).

الفائدة الثانية: تعظيم حرمة الدماء المعصومة في الإسلام: قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وفي "الصحيحين"، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة".

وفي "صحيح البخاري" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا".

(١) انظر كتاب: علوم القرآن الكريم، تأليف: الدكتور يوسف المرعشلي، الناشر:

دار المعرفة، الطبعة الثانية: ٢٠١٧م، ص: ٤٢١-٤٢٢.

وروى النسائيُّ وصححه الألباني عن عبدالله بن عمرو عن النبيِّ ﷺ قال: "لزوال الدنيا أهونُ عند الله من قتل رجلٍ مسلم".

وروى النسائي في "السنن الكبرى" عن عبد الله بن مسعود، عن النبيِّ ﷺ قال: "يجيء الرجل أخذًا بيد الرجل فيقول: يا رب هذا قتلتني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل أخذًا بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلتني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان، فيقول: فإنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه".

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كلُّ ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا" (١).

(١) أخرجه أحمد والنسائي وهو صحيح لغيره وأخرجه رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ" رواه البخاري ومسلم
وَقَالَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ
لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفَكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حَلَةٍ. [رواه البخاري]
وعن ابن عباس قال: نظر رسول الله إلى الكعبة، فقال: "لا إله إلا
الله، ما أطيبك، وأطيب ريحك، وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم
حرمة منك ... " (١) الحديث.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: "لو
أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في
النار" (٢)

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١١/٣٧/١٠٩٦٦) وأخرجه الألباني

في السلسلة الصحيحة (٣٤٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهرق دمه". رواه البخاري.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يُخْرَجُ عَنْقُ مَنْ النَّارَ يَتَكَلَّمُ فَيَقُولُ: وَكَلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إلهًا آخَرَ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَيَقْذِفُهُمْ فِي حَمْرَاءِ جَهَنَّمَ" (١)

وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ".

(١) أخرجه الإمام أحمد وخرجه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢٦٩٩).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: "من حمل علينا السلاح فليس منا".

وقوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" متفق عليه.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: "أكبر الكبائر: الإشرāk بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال: وشهادة الزور".

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوق في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله ﷺ: "أقال لا إله إلا الله وقتلته؟" قال: قلت: يا رسول الله، إننا قالها خوفاً من السلاح، قال: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟" فما زال يكررها علي حتى تمتت أني أسلمت يومئذ.."

وَجَاءَ فِي تَرْوِيعِ الْمُسْلِمِ عِدَّةَ أَحَادِيثَ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ أَسَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ"
[أخرجه مسلم].

الفائدة الثالثة: بيان أن لقاتل المؤمن توبة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]
وكان ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يرى أنه لا توبة لقاتلِ المؤمنِ عمداً
ويحتج بآية النساء؛ كما روى البخاري عن سعيد بن جبير، قال: "آية
اختلفَ فيها أهلُ الكوفة، فرحلتُ إلى ابنِ عباسٍ فسألته عنها، فقال:
نزلتْ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء:
٩٣] هي آخرُ ما نزل وما نسخها شيءٌ".

وروى أحمدُ والنسائيُّ عن سالم بن أبي الجعد، قال: كنا عند ابنِ عباسٍ
بعد ما كُفَّ بصره، فأتاه رجلٌ فناداه: يا عبدالله بن عباس، ما ترى في
رجلٍ قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال: ﴿جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٠٦﴾ قال: أفرايت إن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه، وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده! لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول: "ثكلته أمه، قاتل مؤمنٍ متعمداً، جاء يوم القيامة آخذه يمينه أو بشماله، تشخب أوداجه دمًا في قُبُل عرش الرحمن، يلزم قاتله بشماله بيده الأخرى، يقول: سل هذا فيم قتلني."

وقد أُجيب عن استدلال ابن عباس بالآية أن معنى الخلود فيها هو المكث الطويل، وبما قاله أبو هريرة وجماعة من السلف.

وقد ذهب الجمهور إلى أن توبته تُقبل كسائر أصحاب الكبائر، وأنه يدخل الجنة سواء عذب أو لم يعذب وهو الحق، واحتجوا بأدلة كثيرة: منها قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ

وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٨-٧٠﴾ (الفرقان: ٦٨ - ٧٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨) وجميع الكبائر دون الشرك.

وقال ابن كثير رحمه الله: "والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل، فإن تاب وأتاب وخشع وخضع، وعمل عملا صالحا، بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته" (١) انتهى

الفائدة الرابعة: شرع من قبلنا إذا قرره شرعنا ووافقه فهو شرع لنا.

قال الحافظ في "فتح الباري" (٥١٨/٦): قَالَ عِيَاضُ: وَفِيهِ أَنَّ التَّوْبَةَ تَنْفَعُ مِنَ الْقَتْلِ كَمَا تَنْفَعُ مِنَ سَائِرِ الذُّنُوبِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ شَرَعًا لِمَنْ قَبَلْنَا وَفِي الإِخْتِجَاجِ بِهِ خِلَافٌ لَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ الإِخْلَافِ لِأَنَّ

(١) "تفسير ابن كثير" (٢/٣٨٠).

مَوْضِعَ الْخِلَافِ إِذَا لَمْ يَرُدْ فِي شَرْعِنَا تَقْرِيرُهُ وَمُوَافَقَتُهُ أَمَّا إِذَا وَرَدَ فَهُوَ
شَرْعٌ لَنَا بِلاَ خِلَافٍ وَمِنَ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ
أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

الفائدة الخامسة : بيان حرمة الفتوى بغير علم .

قال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]

وأخبر سبحانه في سورة البقرة أن الفتوى بغير علم مما يأمر به
الشیطان، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ
وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]

وقال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا
حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء : ٣٦).

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله
ﷺ قال : " إِنْ لَانَ اللَّهُ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا ، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ،
وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ
النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا
وَأَضَلُّوا" (١).

وقد روى ابن ماجه -وقال الألباني: حسن- عن أبي هريرة
رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا غَيْرَ
ثَبَتٍ ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ " .

وفي لفظ أبي داود وقال الألباني: حسن: " مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ
إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ " .

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

الفائدة السادسة : وجوب الورع في الفتوى .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : " أَذْرَكْتُ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرَاهُ قَالَ : فِي الْمَسْجِدِ فَمَا كَانَ مِنْهُمْ مُحَدِّثٌ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ وَلَا مُفْتٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا (١) . "

وورد عن ابن عباسٍ وابن مسعود أنها قالا : " إِنْ مَنْ أَفْتَى النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ عَنْهُ لَمَجْنُونٌ " (٢) .

وعن نعيم بن حمادٍ قال : سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : " أَجْسَرُ النَّاسِ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْمًا " (٣) .

(١) أخرجه الدارمي (١٣٧) وزهير بن حرب في " العلم " (٢١) وابن المبارك في " الزهد "

(٥٨) وابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " (٢١٩٩) (٢٢٠١) والخطيب البغدادي في

" الفقيه والمتفقه " (٢٣/٢) والبيهقي في " المدخل إلى السنن الكبرى " (٨٠٠) (٨٠١) .

(٢) " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر (٢٢٠٤)، (٢٢٠٦) .

(٣) " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر (٢٢٠٩) .

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ
عُمَرَ: "أَلَمْ أَنْبَأُ أَنَّكَ تُفْتِي النَّاسَ، وَلَّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا" (١).

وَعَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْمِنْهَالِ قَالَ: " سَأَلْتُ زَيْدَ
بْنَ أَرْقَمَ، وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ عَنِ الصَّرْفِ، فَجَعَلَ كُلَّمَا سَأَلْتُ أَحَدَهُمَا
قَالَ: سَلِ الْآخَرَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي وَأَعْلَمُ مِنِّي " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي
الصَّرْفِ

وكان مالك بن أنس يقول: "من أجاب في مسألة فينبغي من قبل أن
يجيب فيها أن يعرض نفسه على الجنة أو النار وكيف يكون خلاصه في
الآخرة" (٢).

وسئل الإمام مالك عن مسألة فقال: "لا أدري" ف قيل له: إنها مسألة
خفيفة سهلة ، فغضب وقال: "ليس في العلم شيء خفيف ألم تسمع

(١) سنن الدارمي (١٧٥) ومصنف عبد الرزاق (١٥٢٩٣) "جامع بيان العلم
وفضله" لابن عبد البر (٢٢١٦).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٢٧٦/٣).

قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ فالعلم كله ثقیل
وخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة. (١)

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول لا أدري ؛ فقد روى البخاري
عن طاووس قال: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: ذَكَرُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
"اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا
وَأَصِيبُوا مِنَ الطَّيِّبِ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا الْغُسْلُ فَنَعَمْ، وَأَمَّا الطَّيِّبُ
فَلَا أَدْرِي.

وكذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ فقد روى البخاري
عنه أنه قال: مَنْ عِلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَإِنَّ مِنَ
الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: لَا أَعْلَمُ. فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ١٦).

ولنا في رسول الله أسوة فقد ثبت عنه أنه قال لا أدري ؛ فقد أخرج
البخاري وأحمد عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه أن رجلاً

(١) السابق.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْبُلْدَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْبُلْدَانِ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: "لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ، فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ، أَنَّ أَحَبَّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَاجِدُ، وَأَبْغَضُ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ الْأَسْوَاقُ (١).
ولما جَاءَهُ قَوْمٌ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهِمْ فَقَالَ أَعْلِمُكُمْ غَدًا يَعْنِي أَسْأَلَ جِبْرِيلَ ثُمَّ أَعْلِمُكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤] الْآيَةَ وَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ تَشْكُو إِلَيْهِ أَوْسًا فَلَمْ يُجِبْهَا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] وَجَاءَهُ الْعَجْلَانِيُّ يَقْدِفُ امْرَأَتَهُ قَالَ لَمْ يَنْزِلْ فِيكُمْ وَانْتَظَرَ

(١) حسن لغيره: أخرجه البزار في مسنده (٣٤٣٠) وأحمد (١٦٧٤٤) وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥٩٩)؛ وله شاهد آخر عن أبي هريرة أخرجه مسلم (٦٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا".

الْوَحْيِ فَلَمَّا نَزَلَ دَعَاهُمَا فَلَا عَن بَيْنَهُمَا كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ لِنَبِيِّهِ

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]

وقال أبو بكر الصديق لما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال:

"أي سماء تظلني؟ وأي أرض تقلني؟ إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا

أعلم".

وفي ميراث الجدة يتوقف عن القضاء والفتيا حتى يقوم عنده

علم ، فقد أخرج أبو داود عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال: جاءت

الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها فقال: ما لك في كتاب

الله تعالى شيء؛ وما علمت لك في سنة نبي الله - ﷺ - شيئاً،

فأرجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة

حضرت رسول الله - ﷺ - أعطأها السدس. فقال أبو بكر:

هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة

بن شعبة فأنفذه لها أبو بكر.

الفائدة السابعة: بيان فضل العلم.

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .
وقال: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ .
وقد أدى العلم إلى قبول صيد المعلم من الجوارح ؛ قال تعالى :
﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ
الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ يَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴾ وَقَوْلُهُ ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: " إِذَا أُرْسِلْتَ كَلْبَكَ
الْمُعَلَّمِ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلْ مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ " وَهُوَ فِي
الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا

وقال رسول الله ﷺ: " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ "
وعن ابن وهب قال: سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على
الناس؟ فقال: " لا، والله ولكن يطلب منه المرء ما يتتبع به في دينه "

الفائدة الثامنة: وجوب التحري في الفتوى فلا يستفتى إلا أهل

العلم. قال الله سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عبد الله بن عباسٍ قَالَ: أَصَابَ رَجُلًا جُرْحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ احْتَلَمَ فَأَمَرَ بِالِاغْتِسَالِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءً الْعِيِّ السُّؤَالَ".

الفائدة التاسعة: جواب الحكيم من المفتي العالم.

ومعنى "جواب الحكيم" أن يزيد المفتي في جوابه على سؤال السائل زيادة تتم بها الفائدة من الجواب، ومن ذلك جواب العالم للرجل؛ فأمره أن يخرج إليها؛ لأن الأرض التي فيها صالحون أرض خيرة، لا يستطيع المجرم أن يمارس عصيانه في وسط الأبرار أبداً، وهذه ميزة بقاء الصالحين في المكان، لأن خروج الصالحين من المكان جريمة في حق المكان.

الفائدة العاشرة: بيان فضل العالم على العابد.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥١٨ / ٦): وَفِيهِ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ لِأَنَّ الَّذِي أَفْتَاهُ أَوْلَى بِأَنْ لَا تَوْبَةَ لَهُ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ فَاسْتَعْظَمَ وَوُقُوعَ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ الْقَاتِلِ مِنْ اسْتِجْرَائِهِ عَلَى قَتْلِ هَذَا الْعَدَدِ الْكَثِيرِ . وَأَمَّا الثَّانِي فَعَلَبَ عَلَيْهِ الْعِلْمُ فَأَفْتَاهُ بِالصَّوَابِ وَدَلَّهُ عَلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ .

انتهى

الفائدة الحادية عشر: وجوب الخروج من أرض المعصية إلى أرض

الطاعة.

وهو مستفاد من قول الرجل العالم: "وَمَنْ يَحْوُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ".

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا

الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا . وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿النساء : ٩٧ - ١٠٠﴾ .

الفائدة الثانية عشر: بيان فضل الرفقة الصالحة.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿الفرقان : ٢٧

- (٢٩ -

وقال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿الكهف :

(٢٨).

وقال تعالى : ﴿ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ
إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ . يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ . إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَنَا لَمَدِينُونَ . قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ . فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ . قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ . وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ
الْمُحْضَرِينَ ﴾ (الصفات: ٥٠ - ٥٧)

قال تعالى : ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾
(الزخرف: ٦٧)

روى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - أن
النبي - ﷺ - قال: " لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا
تقياً " .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ
أَحَدُكُمْ مَنْ يُجَالِلُ " (١) .

(١) أخرجه أحمد (٨٤١٧) وأبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَيْرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً " متفق عليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةٌ سَيَّارَةٌ فَضْلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذُّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا لَا أَيْ رَبِّ، قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونََنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا:

وَيَسْتَغْفِرُونَكَ - قَالَ - فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا
وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا - قَالَ - فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ
إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ
جليسهم" [رواه مسلم].

ولننظر إلى أثر صحبة الأشرار فروى البخاري ومسلم من حديث
سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه
رسول الله - ﷺ - فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن
المغيرة، فقال رسول الله - ﷺ -: "يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة
أشهد لك بها عند الله"، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا
طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله - ﷺ -
يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما
كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال
رسول الله - ﷺ -: "أما والله لأستغفرنَّ لك، ما لم أنه عنك"،
فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿التوبة: ١١٣﴾، وأنزل الله - تعالى - في أبي طالب، فقال
لرسول الله - ﷺ -: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: ٥٦).

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ
الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة - رضي
الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: "الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف
منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف".

الفائدة الثالثة عشر: الإشارة إلى اجتناب التائب للأحوال والأماكن
والأشخاص والعادات التي كان عليها قبل التوبة.

قال ابن حجر في فتح الباري (٥١٨/٦) : في الحديث إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّائِبَ يَنْبَغِي لَهُ مُفَارَقَةُ الْأَحْوَالِ الَّتِي اعْتَادَهَا فِي زَمَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالتَّحَوُّلُ مِنْهَا كُلِّهَا وَالِإِشْتِغَالُ بِغَيْرِهَا.

الفائدة الرابعة عشر: العمل الصالح يكفر الذنوب والسيئات.

وهو مستفاد من قول العالم للرجل " وَمَنْ يَحْوُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ " .

والله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود

[(١١٤)]

وأخرج الترمذي وأحمد عن أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " .

ومما يؤكد على ذلك ما أخرجه أحمد (٥١٨) وصححه الألباني عن
عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: "إِنَّ
الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ يَذْهَبْنَ بِالذُّنُوبِ، كَمَا يَذْهَبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ".

وأخرج النسائي (١٤٤) وصححه الألباني عن أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: "مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ،
وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ، غُفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ".

وأخرج ابن خزيمة (٢٢١٢) وصححه الألباني عن عَمْرِو بْنِ مَرْه
الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلٌ مِنْ
قُضَاعَةَ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَصُمْتُ الشَّهْرَ
وَقُمْتُ رَمَضَانَ، وَآتَيْتُ الزَّكَاةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "مَنْ مَاتَ
عَلَى هَذَا، كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ".

وعن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ - قَالَ: "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ،
وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا
اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ" رواه مسلم.

الفائدة الخامسة عشر: بيان فضل التوحيد.

وذلك مستفاد من بيان أن من مات على التوحيد وإن كان مذنباً
مقترفاً لكبائر الذنوب ، فأمره إلى الله ؛ إن شاء عذبه وإن شاء عفى
عنه؛ وَقَدْ تَوَارَدَتْ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَنَّهُ يُخْرِجُ مِنَ
النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ.

الفائدة السادسة عشر: حسن الخاتمة من علامات القبول. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]. ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر]
روى مسلم في صحيحه من حديث جَابِرٍ - رضي الله عنه - : أَنَّ النَّبِيَّ
- ﷺ - قَالَ: "يَبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ".

وقال رسول الله - ﷺ -: "إن الرجل ليعمل الزَّمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يُحْتَم له عمله بعمل أهل النار! وإن الرجل ليعمل الزَّمن الطويل بعمل أهل النَّار ثم يُحْتَم له عمله بعمل أهل الجنة!" رواه مسلم.

وقال رسول الله - ﷺ -: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة". رواه أبو داود

وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلُ الْجَنَّةِ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلُ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ حُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلُ الْجَنَّةِ" رواه أحمد.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي - ﷺ - يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم". فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطمعُ أبا القاسم رضي الله عنه

فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار" رواه البخاري.

الفائدة السابعة عشر: الخوف من سوء الخاتمة .

ويستفاد ذلك من اختصام ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؛ تصور لو كان الرجل أدنى إلى أرض المعصية؛ أو كان من ضحايا سوف وتأخير التوبة لطول الأمل وتضييع العمل؛ وقال - ﷺ -: " .. وإنما الأعمال بالخواتيم" ... [رواه البخاري]

قال الله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ . أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٤ - ٥٨].

قال الحافظ ابن رجب: "وفي الجملة فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق" (١)

عن أنس - رضي عنه - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثُر أن يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" فقلت: يا نبي الله آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟! قال: "نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء" (٢).

الفائدة الثامنة عشر: بيان فضل التوبة.

قال القرطبي في "التذكرة" (ص ٥٣): " والتوبة فرض على المؤمنين باتفاق المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٨٠)

(٢) رواه الترمذي؛ صحيح الترمذي للألباني: ٢١٤٠.

ووعد بالقبول عليها، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾

[الشورى: ٢٥]. فمن تاب واستغفر تاب الله عليه؛ قال - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

الفائدة التاسعة عشر: بيان سعة رحمة الله.

وهو مستفاد من "وحي الله تعالى إلى أرض الطاعة بالقرب وإلى

الأخرى بالبعد" وهذا من لطفه به وعنايته.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّبِعُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾

[الأنفال: ٣٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَىٰ

نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي،

ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ

أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشِيْتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ " متفق عليه.

الفائدة العشرون: إذا قبل الله التوبة تكفل بإرضاء أصحاب الحقوق.

إذا كان الذنب متعلقًا بحق من حقوق العباد فيشترط للتوبة منه شرط زائد، وهو أن يتحلله من صاحبه في الدنيا بأن يرد إليه الحق ، أو يطلب منه العفو.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٤٩) .

وثبت في صحيح مسلم (٢٥٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا

مَتَاعٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُقْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ،
وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ
هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ
فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ،
ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

وقال صلى الله عليه وسلم: يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ قَبْلَ الشَّامِ، عُرَاةَ حُفَاةَ
غُرْلًا بِهِمَا، قَالَ: قُلْتُ: مَا بِهِمَا؟، قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ
بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، أَنَا الْمَلِكُ الدِّيَّانُ، لَا
يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ
بِمَظْلَمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَدْخُلُ النَّارَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ، حَتَّى اللَّطْمَةِ، قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي عُرَاةَ
غُرْلًا بِهِمَا؟، قَالَ: الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ (١).

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦٠٤٢)، وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح

الترغيب والترهيب" (٣٦٠٨).

ومن قذف مسلماً أو مسلمة في الدنيا ولم يقم عليه حد القذف ، أو
تاب ولم يتحلل من صاحب الحق أقيم عليه الحد يوم القيامة ، فعن
عِكْرَمَةَ قَالَ: صَنَعَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - طَعَامًا ،
فَبَيْنَمَا الْجَارِيَةُ تَعْمَلُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِذْ قَالَ لَهَا الرَّجُلُ: يَا زَانِيَةٌ ، فَقَالَ: ابْنُ
عَبَّاسٍ: مَهْ إِنَّ لَمْ تَحُدِّكَ فِي الدُّنْيَا ، تَحُدُّكَ فِي الْآخِرَةِ " (١).

قال العيني في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٥٦/١٦) :
قوله فغفر له أي غفر الله له، فإن قيل حقوق الأدميين لا تسقط
بالتوبة بل لا بد من الاسترضاء وأجيب بأن الله تعالى إذا قبل توبة
عبده يرضى خصمه.

وعلق الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٥١٧/٦) على هذا الحديث
بقوله:

وَيُحْمَلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا قَبِلَ تَوْبَةَ الْقَاتِلِ تَكْفَلُ بِرِضَا خَصْمِهِ.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٣١) ، وصححه الشيخ الألباني في
"صحيح الأدب المفرد" (٢٥٢).

الفائدة الحادية والعشرون: بيان جواز التحكيم . فِيهِ حُجَّةٌ لِمَنْ أَجَازَ
التَّحْكَيمَ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ، وَأَنَّ مَنْ رَضِيَ الْفَرِيقَانِ
بِتَحْكَيمِهِ فَحُكْمُهُ جَائِزٌ عَلَيْهِمْ^(١).

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَإِذَا حَكَمَ رَجُلَانِ حَكْمًا فَقَضَى بَيْنَهُمَا
فَقَضَاؤُهُ جَائِزٌ، إِلَّا فِي الْحُدُودِ"^(٢).

الفائدة الثانية والعشرون: الترجيح في الحكم بالقرائن والأحوال.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/٥١٨): وَفِيهِ أَنَّ لِلْحَاكِمِ إِذَا
تَعَارَضَتْ عِنْدَهُ الْأَحْوَالُ وَتَعَدَّدَتِ الْبَيِّنَاتُ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِالْقَرَائِنِ عَلَى التَّرْجِيحِ
انتهى

وذلك في قول الحكم بين الملائكة: "قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ
أَدْنَى فَهُوَ لَهَا".

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

(١) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملقن (١٩/٦٤٣)؛ وفتح الباري للحافظ ابن

حجر العسقلاني (٦/٥١٨)

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٥٢٩٤).

فوائد التحرير

بشرح حديث: "الثلث كثير"

تأليف

أبي عاصم البركاتي المصري

١٤٣٣

دار الهدى النبوي

فوائد التحرير

بشرح

حديث: " التلت كثير "

أعدّه /

أبو عاصم البركاثي

١٤٣٣

متن الحديث

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عامر بن سعدٍ أن أباه قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من شكوى أشفيت منها على الموت فقلت يا رسول الله بلغ بي ما ترى من الوجع وأنا ذو مالٍ ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا؛ قلت: فبشطره؛ قال: لا؛ قلت: الثلث؛ قال: الثلث كثير؛ إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت حتى ما تجعل في في امرأتك؛ قلت: أأخلف بعد أصحابي، قال: إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت درجةً ورفعةً ولعلك تخلف حتى يتنفع بك أقوامٌ ويضر بك آخرون؛ اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم؛ لكن البائس سعد بن خولة.

قال سَعْدٌ: رَأَى لَهُ النَّبِيَّ - مِنْ أَنْ تُؤْفَى بِمَكَّةَ (١).

وفي إحدى روايات البخاري: " فقلت لي مَالٌ أُوصِي بِمَا لِي كُلِّهِ، قال
لَا".

وعند مسلم في رواية: " فقلت دَعْنِي أَقْسِمُ مَا لِي حَيْثُ شِئْتُ فَأَبِي ".

معاني المفردات

عادني: زارني ؛ وعبادة المريض زيارته .

شكوى: مرض .

أشفيت: اقتربت .

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٣) (٣٧٢١) (٤١٤٧) (٥٠٣٩) (٥٣٤٤)

(٦٠١٢) ومسلم (١٦٢٨) عن عامر بن سعد عن أبيه .

يرثني: يستحق مالي بعد موتي؛ فالميراث ما يتركه المورث من مال لورثته.

الشطري: النصف.

تذر: تترك وتدع.

عالة: فقراء.

يتكففون الناس: يسألون الناس؛ أي يمدون أكفهم بالسؤال وطلب المساعدة.

في امرأتك: فم امرأتك.

- طرف من ترجمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

هو سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، يكنى : أبا إسحاق ، أسلم قديماً ، وهو ابن سبع عشرة سنة ،

وقال : مكثت ثلاثة أيام وفي رواية سبعة أيام ، وأنا ثلث الإسلام .

وقال : أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله^(١).

وروي أن سعداً قال في ذلك :

ألا هل أتى رسول الله أني * حميت صحابتي بصدور نبلي

أذود بها أوائلهم زيادا * بكل حزنونة وبكل سهل

فما يعتد رام في عدو * بسهم يا رسول الله قبلي

وذلك أن دينك دين صدق * وذو حق أتيت به وفضل

ينجى المؤمنون به ويخزي * به الكفار عند مقام مهل

فمهلا قد غويت فلا تعبني * غوى الحى ويحك يا ابن جهل

(١) وكان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان القتال فيها أول حرب وقعت

بين المشركين والمسلمين وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة. انظر

السيرة النبوية لابن هشام (١/٥٩١)، وفتح الباري (٧/٨٤).

شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . وولي الولايات العظيمة من قبل عمر وعثمان . رضى الله عنهم . . وهو أحد أصحاب الشورى ، وأحد المشهود لهم بالجنة . توفي في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، ومروان إذ ذاك والي المدينة ، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ ؛ دخل بجنازته في المسجد ، فصلين عليه في حجرهن ، وكفن في جبة صوف ، لقي المشركين فيها يوم بدر ، فوصى أن يكفن فيها ، ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين ، ويقال سنة خمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، ويقال : ابن اثنين وثمانين ، وروى عنه من الحديث مائتان وسبعون ، أخرج له منها في الصحيحين ثمانية وثلاثون .

وكان عمر أمره على الكوفة سنة إحدى وعشرين ثم لما ولي عثمان أمره عليها ثم عزله بالوليد بن عقبة سنة خمس وعشرين .

حكايته رضي الله عنه مع أمه:

وهذا سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - تعرّض أمه عليه بعد إسلامه أن يكفر بدين محمد ﷺ، وحلفت أن لا تكلمه، ولا تأكل ولا تشرب حتى تموت فيعيّر بها، فيقال: يا قاتل أمه، وقالت له: زعمت أن الله وصابك بوالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا.

قال سعد: لا تفعلي يا أمّه إني لا أدع ديني هذا لشيء . فبقيت ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب، فلما رأى سعد بن أبي وقاص ذلك منها قال لها: يا أمّه تعلمين والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني إن شئت فكلي أو لا تأكلي. فلما رأت ذلك أكلت (١) .

قال سعد - رضي الله عنه - : نزلت هذه الآية في : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ ﴾

(١) انظر : صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص ٤ / ١٨٧٧ مختصراً بمعناه ، وأحمد ١ / ١٨١ - ١٨٢ ، والترمذي ٥ / ٣٤١ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١ / ١٠٩ .

عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا ﴿١﴾.

مناقب سعد رضي الله عنه:

(١) أخرج الترمذي وصححه الألباني عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة.

(٢) روى أحمد في "فضائل الصحابة" (١٣٢٠) عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت ولقد مكثت سبع ليالٍ ثلث الإسلام.

(١) سورة لقمان، الآية ١٥.

(٣) روى أحمد في "فضائل الصحابة" (١٣١٩) عن إبراهيم قال : قال عبد الله يعني ابن مسعود : "لقد رأيت سعدا يقاتل يوم بدر قتال الفارس في الرجال".

(٤) وروى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعداً يقول: جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد^(١).

(٥) وروى البخاري ومسلم أحمد في فضائل الصحابة (١٣٠٤) عن علي قال: ما سمعت النبي ﷺ يجمع أباه وأمه لأحد غير سعد بن أبي وقاص فإني سمعته يوم أحد يقول إرم يا سعد فذاك أبي وأمي^(٢).

(٦) روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنه عنها قالت:

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب: مناقب سعد بن أبي وقاص (٣٧٢٥)، ومسلم في فضائل الصحابة باب: في فضل سعد (٢٤١٢).

(٢) ثبت أن النبي ﷺ جمع أبويه للزبير رضي الله عنه ، فقد روى البخاري ومسلم والترمذي عن الزبير قال جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قريظة فقال بأبي وأمي .

سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال: " ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يجرسني الليلة".

قالت: فيينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال: من هذا؟

قال: سعد بن أبي وقاص: فقال له رسول الله: ما جاء بك؟ .

قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام (١).

(٧) روى البخاري وأحمد في "فضائل الصحابة" (١٣٠٧) عن سعد رضي الله عنه قال: إني لأول العرب رمى في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط. (٢).

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٨٨٥)، ومسلم في فضائل

الصحابة باب: في فضل سعد (٢٤١٠). وأحمد في "فضائل الصحابة" (١٣٠٥)

(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب مناقب سعد (٣٧٢٨). وأحمد في فضائل الصحابة (١٣٠٧)

(٨) روى الترمذي وأحمد في فضائل الصحابة عن جابر بن عبد الله

قال أقبل سعد فقال النبي ﷺ هذا خالي فليرنى امرؤ خاله^(١).

(٩) وقد جعل الله سعدًا مستجاب الدعوة لدعوة النبي ﷺ «اللهم

استجب لسعد إذا دعاك»^(٢).

حكايته مع الرجل الذي افتري عليه:

روى البخاري ومسلم عن جابر بن سُمرة رضي الله عنهما، قَالَ: شَكَأ

أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا يَعْنِي: ابْنَ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى عَمْرِ بْنِ

الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَّوْا

حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي^(٣)، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ،

إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعَمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، فَقَالَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ

(١) الترمذي (٢٩٥١) وأحمد في فضائل الصحابة (١٣١٢) وصححه الألباني.

(٢) الترمذي ٥ / ٦٤٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣ / ٤٩٨.

(٣) قيلت مثل هذه الكلمة عن الإمام البخاري، جاء في السير للذهبي (ج ١٢ ص ٤١٣): قال له بعضهم،

قال فلان عنك لا تحسن أن تصلي، فقال: لو قيل شيء من هذا ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي

عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة.

أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، لَا أُخْرِمُ عَنْهَا ، أُصَلِّي صَلَاتِي
الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الْأُولَيَيْنِ ، وَأُخْفُ فِي الْأُخْرَيَيْنِ .

قَالَ : ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا - أَوْ رَجَالًا -
إِلَى الْكُوفَةِ يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ ،
وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا ، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ،
يُقَالُ لَهُ أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ ، يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ ، فَقَالَ : أَمَا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ
سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ .
قَالَ سَعْدٌ : أَمَا وَاللَّهِ لَا دُعُونَ بِنِثْلَاثٍ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا ،
قَامَ رِيَاءً ، وَسُمْعَةً ، فَأَطَّلَ عُمُرَهُ ، وَأَطَّلَ فَقْرَهُ ، وَعَرَّضَهُ لِلْفِتَنِ . وَكَانَ
بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ ، أَصَابَتْني دَعْوَةُ سَعْدٍ .
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ الرَّاوِي عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ : فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ
سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطَّرْقِ
فَيَغْمِزُهُنَّ (١) .

(١) متفق عليه .

شرح الحديث:

قوله: " عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ - فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ شَكْوَى (١) أَشْفَيْتُ مِنْهَا عَلَى الْمَوْتِ "

وزيارة المرضى وعيادتهم سنة رسول الله ﷺ وقربة إلى الله تعالى .
روى مسلم والبخاري في الأدب المفرد وأحمد في المسند عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لوجدتني عنده يا ابن آدَمَ اسْتَطَعْمَتَكَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي. قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعْمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لوجدتَ ذَلِكَ عندي يا ابن آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ يَا

(١) أي مرض وعلة.

رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي .

وروى البخاري عن أبي موسى - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " عُوذُوا الْمَرِيضَ ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ ، وَفُكُّوا الْعَانِي " .

وروى مسلم عن ثوبان - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - ، قَالَ : " إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ " : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : " جَنَاهَا " .

وروى الترمذي وحسنه عن عليّ - رضي الله عنه - ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، يَقُولُ : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ " . " الْخَرِيفُ " : الثَّمَرُ الْمُخْرُوفُ ، أَيِ : الْمُجْتَنَى .

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ غُلامًا يَهُودِيًّا يُخَدِّمُ النَّبِيَّ - ﷺ - ، فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ - ﷺ - يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : " أَسْلِمَ " فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ ؟ فَقَالَ : أَطَعُ أَبَا الْقَاسِمِ ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ - ، وَهُوَ يَقُولُ : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ " .

وروى مسلم والبخاري في الأدب المفرد والنسائي في الكبرى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا . قَالَ « فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا . قَالَ « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا . قَالَ « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وروى البخاري في "الأدب المفرد" وصححه الألباني عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول : من عاد مريضاً خاض في الرحمة حتى إذا قعد استقر فيها .

وروى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مَرَضْتُ مَرَضًا فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ فَوَجَدَانِي أُغْمِي عَلَيَّ فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ.

وواجب على المريض أن يصبر ويحتسب، ويعلم أن الله أراد به

الخير إن هو صبر.

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ

صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلِيَّتِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ ﴿البقرة: ١٥٥ -

(١٥٧)

وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٦)

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (القصص: ٥٤)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦).

وروى مسلم وأحمد في المسند عن صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ:

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ

لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ

ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

وروى ابن ماجه والترمذي وغيرهما عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مُحْصِنِ
الْأَنْصَارِيِّ الْخَطْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "
مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سَرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ ،
فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا (١) .

المرض كفارة للذنوب، وخط للسيئات ورفعة في الدرجات:

وروى البخاري ومالك وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله ﷺ قال : " من يرد الله به خيرا يصب منه " .

وقال رسول الله ﷺ : ما يصيب المسلم من نصب و لا وصب و لا
هم و لا حزن و لا أذى و لا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها
من خطاياها (٢) .

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/١١٢ ، رقم ٣٠٠) ، والترمذي (٤/٥٧٤ ،
رقم ٢٤٦) وقال : حسن غريب .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد عن أبي سعيد وأبي هريرة .

وروى ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : " عظم الجزاء مع عظم البلاء؛ إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ؛ فمن رضي فله الرضا ؛ ومن سخط فله السخط".

وروى الترمذي وحسنه الألباني عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض".

وأخرج مالك والبيهقي وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب" عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فيقول: انظرا ما يقول لعوده. فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا إلى الله عز وجل - وهو أعلم - فيقول: لعبدي على إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، وأن أكفر عنه سيئاته.

وروى أحمد وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني عن جابر قال:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا مِنْ مُسْلِمٍ وَلَا مُسْلِمَةٍ وَلَا مُؤْمِنٍ وَلَا
مُؤْمِنَةٍ يَمْرُضُ مَرَضًا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ خَطَايَاهُ ».

وروى البخاري ومسلم وأحمد عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن
عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى.
قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي -ﷺ- فقالت: إني أصرع وإني
أتكشف، فادع الله لي. قال: "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت
دعوت الله أن يعافيك" فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله
لي أن لا أتكشف، فدعا لها^(١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المرضى باب: "فضل من يصرع من
الريح برقم (٥٦٥٢)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة باب
"ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها برقم
(٢٥٧٠)" كما أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٣٢٤٠).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني عن أبي هريرة ، قال: " ما من مرض يصيبني، أحب إلي من الحمى؛ لأنها تدخل في كل عضو مني، وإن الله عز وجل يعطي كل عضو قسطه من الأجر".

قوله: " فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ بَلِّغْ بِي مَا تَرَى مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ" فيه جواز الإخبار عن الألم إذا لم يكن على وجه التسخط والاعتراض على قضاء الله تعالى.

روى أحمد وابن ماجه والبخاري مختصرا عن عائشة قالت : رجع إلى رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالقيع وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وارأساه قال بل أنا وارأساه قال ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك قلت لكنني أو لكأني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك قالت: فتبسم رسول الله ﷺ ثم بدئ بوجعه الذي مات فيه .

وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ،
قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - وَهُوَ يُوعَكُ ، فَقُلْتُ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا ، قَالَ : " أَجَلٌ ، إِنْ
أُوعِكَ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ " قُلْتُ : ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟
قَالَ : " أَجَلٌ ، ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذى ، شَوْكَةٌ
فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ
الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وروى أحمد وعبد بن حميد وصححه الألباني عن أبي سعيد
الخدري قَالَ وَضَعَ رَجُلٌ يَدَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أُطِيقُ
أَنْ أَضَعَ يَدِي عَلَيْكَ مِنْ شِدَّةِ حُمَاكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّا مَعْشَرَ
الْأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ لَنَا الْبَلَاءُ كَمَا يُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ
مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يُبْتَلَى بِالْقَمَلِ حَتَّى يَقْتَلَهُ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

لَيْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى يَأْخُذَ الْعِبَاءَةَ فَيَحْوِيهَا وَإِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ
بِالْبَلَاءِ كَمَا تَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ.

قوله: " أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلثِي مَالِي قَالَ لَا قُلْتَ فَبِشَطْرِهِ قَالَ لَا قُلْتُ
الثُّلُثُ قَالَ الثُّلُثُ كَثِيرٌ " .

وفي إحدى روايات البخاري: " فقلت لي مَالٌ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ، قال
لَا " .

ووفي رواية عند مسلم: " فقلت دَعْنِي أَقْسِمُ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ فَأَبَى " .
وهذا في الوصية التي تنفذ بعد الموت وهي مستحبة لمن له مال كثير .

وفي هذا يقول ﷺ: " ما حق امرئ مسلم بيت ليلتين وله شيء يريد
أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه " .

والوصية من الصدقات الجارية التي ينتفع بها الميت بعد وفاته : روى
مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم
يتنفع به أو ولد صالح يدعو له .

ولكن لا يجوز لأحد أن يوصي بماله كله

وروى أحمد في المسند (٢٠٣٤)(٢٠٧٦) وابن أبي شيبة في "المصنف"
(٢٢٦ / ٦) (٣٠٩١٤) حدثنا وكيع عن هشام عن أبيه عن ابن عباس
قال: وددت أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع لأن رسول الله
ﷺ قال: الثلث كثير.

وروى ابن أبي شيبة في "المصنف" (٢٢٦ / ٦) (٣٠٩١٦) حدثنا أبو
أسامة عن عبيد الله عن نافع عن بن عمر قال ذكر عند عمر الثلث في
الوصية قال: "الثلث وسط لا بخس ولا شطط"

وروى ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٠٩١٧) حدثنا عبد الأعلى
عن برد عن مكحول أن معاذ بن جبل قال: إن الله تصدق
عليكم بثلث أموالكم زيادة في حياتكم يعني الوصية.

قال العلامة الشنقيطي في أضواء البيان (٥ / ٢٥٠ - ٢٥٢) :

الأظهر عندي : أن من نذر جميع ماله لله ليصرف في سبيل الله ، أنه يكفيه الثلث ولا يلزمه صرف الجميع ، وهذا قول مالك وأصحابه وأحمد وأصحابه، والزهري . وفي هذه المسألة للعلماء عشرة مذاهب أظهرها عندنا : هو ما ذكرنا ، ويليه في الظهور عندنا قول من قال : يلزمه صرفه كله ، وهو مروى عن الشافعي والنخعي، وعن أحمد رواية أخرى : أن عليه كفارة يمين، وعن ربيعة تلزمه الصدقة بقدر الزكاة، وعن جابر بن زيد ، وقتادة : إن كان كثيراً وهو ألفان تصدق بعشره ، وإن كان متوسطاً وهو ألف تصدق بسبعه ، وإن كان قليلاً ، وهو خمسمائة تصدق بخمسه ، وعن أبي حنيفة : يتصدق بالمال الزكوي كله ، وعنه في غيره روايتان .

إحداهما : يتصدق به .

والثانية : لا يلزم منه شيء ، وعن النخعي ، والبتي ، والشافعي :
يتصدق بهاله كله، وعن الليث : إن كان ملياً لزمه ، وإن كان فقيراً
فعليه كفارة يمين ، ووافقه ابن وهب وزاد وإن كان متوسطاً يخرج
قدر زكاة ماله وهذا مروى أيضاً عن أبي حنيفة ، وهو قول ربيعة كما
تقدم . وعن الشعبي : لا يلزم شيء أصلاً، وقيل : يلزم الكل إلا في
نذر اللجاج، فكفارة يمين، وعن سحنون : يلزمه إخراج ما لا يضر
به. وعن الثوري والأوزاعي، وجماعة : يلزمه كفارة يمين بغير
تفصيل.

وإذا علمت أقوال أهل العلم في هذه المسألة :

فاعلم : أن أكثرها لا يعتضد بدليل، والذي يعتضد بالدليل منها ثلاثة
مذاهب :

الأول : هو ما قدمنا أنه أظهرها عندنا ، وهو الاكتفاء بالثلث .

والثاني : لزوم الصدقة بالمال كله .

والثالث : قول سحنون : أنه يلزمه إخراج ما لا يضر به . أما الاكتفاء بالثلث الذي هو أقربها عندنا ، فقد يستدل له ببعض الأحاديث الصحيحة التي فيها النهي عن التصدق بالمال كله ، وفيها أن الثلث كثير .

قال البخاري رحمه الله في صحيحه : باب إذا أهدى ماله على وجه النذر ، والتوبة : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمي ، قال : سمعت كعب بن مالك يقول في حديثه : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ فقال في آخر حديثه : إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله ، فقال النبي ﷺ : " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك " اهـ .

فظاهر هذا الحديث الصحيح : أن كعباً غير مستشير بل مرید التجرد من جميع ماله على وجه النذر والتوبة ، كما في ترجمة الحديث . وقد أمره - بأن يمسك بعض ماله ، وصرح له بأن ذلك خير له . وقد جاء في بعض الروايات أنه فسر ذلك البعض الذي يمسكه بالثلثين ، وأنه يتصدق بالثلث . وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث قوله : " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك " زاد أبو داود عن أحمد بن صالح بهذا السند ، فقلت : إني أمسك سهمي الذي بخير ، وهو عند المصنف من وجه آخر عن ابن شهاب ، ووقع في رواية ابن إسحاق عن الزهري بهذا السند ، عند أبي داود : " إن من توبتي إلى الله أن أخرج من مالي كله لله ورسوله صدقة قال : لا . قلت : فنصفه ؟ قال : لا . قلت : فثلثه ؟ قال : نعم . قلت : فإني سأمسك سهمي في خير " .

واعلم أن ابن إسحاق في حديثه هذا عند أبي داود، صرح بالتحديث عن الزهري ، فأمن تدليسه ثم قال ابن حجر: وأخرج من طريق ابن

عينة ، عن الزهري ، عن ابن كعب بن مالك ، عن أبيه أنه قال للنبي
ﷺ ، وذكر الحديث وفيه : وإني أنخلع من مالي كله صدقة . قال :
"يجزئ عنك الثلث " وفي حديث أبي لبابة ، عند أحمد وأبي داود مثله
اه [من فتح الباري] .

وقد رأيت الروايات المصرحة بأنه يجزئه الثلث عن جميع المال .
وظاهر الحديث أنه جازم غير مستشير فمن زعم من أهل العلم أنه
مستشير فهو مخالف لظاهر اللفظ ، لأن اللفظ مبدوء بجملة خبرية
مؤكدة بحرف التوكيد ، الذي هو إن المكسورة في قوله : إن من توبتي
أن أنخلع من مالي ، واللفظ الذي هذه صفته ، لا يمكن حمله على
التوقف والاستشارة ، كما ترى فقوله - لكعب بن مالك وأبي لبابة :
إن الثلث يكفي عن الصدقة بجميع المال . هو الدليل الذي ذكرنا
بسببه : أن أقرب الأقوال عندنا الاكتفاء بالثلث . وأما قول من قال :
يلزمه التصديق بجميعة ، فيستدل له بالحديث الصحيح : " من نذر أن
يطيع الله فيلطعه " وهو يدل على إيفائه بنذره ، ولو أتى على كل المال ،

إلا أن دليل ما قبله أخص منه في محل النزاع والأخص مقدم على الأعم.

وأما قول سحنون : يلزمه التصديق بما لا يضر به فيستدل له بقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ ، لأن العفو في أصح التفسيرين ، هو ما لا يضر إنفاقه بالمنفق ، ولا يحفف به لإمساكه ما يسد خلته الضرورية . وهذا قد يرجع إلى الأول لأن الثلث من العفو الذي لا يحفف به إنفاقه . فأظهرها الأول كما ذكرنا وباقي الأقوال لا أعلم له دليلاً متجهاً من كتاب ، ولا سنة ، وما وجه به تلك الأقوال بعض أهل العلم لا يتجه عندي ، والعلم عند الله تعالى . انتهى

شروط الوصية :

يشترط في الوصية شروط منها:

١- أن تكون من جائز التصرف ، فلا تصح من مجنون ، ولا صغير ، ولا محجور عليه لصاحبه ، أو صالح غرمائه .

٢- ألا تزيد على الثلث، لقوله ﷺ في حديث سعد بن أبي وقاص : " الثلث، والثلث كثير " . وقد استحَب بعض أهل العلم ألا تبلغ الوصية ثلث المال بأن تكون رבעه فأقل لقوله ﷺ: " الثلث كثير " فإن زادت الوصية عن الثلث بطل ما زاد عنه إلا بإجازة الورثة، لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "عادي رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت فقلت: يا رسول الله ! بلغني ما ترى من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: " لا " ، قلت: أفأتصدق بشره، قال: " لا، الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس " .

فإن أوصى بأكثر من الثلث، وأجاز ذلك الورثة صحت الوصية.

٣- ألا تكون الوصية لوarith لقوله ﷺ: " إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه، فلا وصية لوarith " (١).

فإن أوصى لوarith بطلت الوصية إلا بإجازة الورثة.

وما زاد عن الثلث، أو كان وصية لوarith فأجاز بعض الورثة، وبعضهم لم يجز، أو كان منهم قاصر عن اعتبار التصرف، فينفذ من ذلك قدر حصة كل وارث جائز التصرف صدرت منه الإجازة.

٤- ثبوت حياة الموصى له قبل وفاة الموصي، وهذا قول أكثر أهل العلم، فإن مات الموصى له قبل موت الموصي بطلت الوصية، وصارت إرثاً بعد موت الموصي.

(١) الحديث: أخرجه أبو داود في كتاب الوصايا، باب: ما جاء في الوصية للوارث: ١١٣/٣؛ وأخرجه الترمذي في كتاب الوصايا، باب: ما جاء لا وصية لوarith: ٤ / ٣٧٦؛ وأخرجه ابن ماجه في كتاب الوصايا، باب: ما جاء لا وصية لوarith: ٢ / ٩٥٠؛ وأخرجه أحمد في مسنده: ٢٦٧/٥.

٥- قبول الموصى له الوصية بعد موت الموصي، فإن ردها الموصى له بطلت وصارت إرثاً.

٦- أن تكون الوصية بما يجوز تملكه، فلا تصح الوصية بكلب، ولا خنزير، ولا خمر، أو نحو ذلك.

والوصية جائزة ما دام الموصي حيًّا، فله حق الرجوع عنها، أو تغييرها، أو تبديلها، فإذا مات لزممت وتعين إنفاذها بشروطها.

استحباب المبادرة إلى العمل الصالح إذا أحس المرء بدنو الأجل
لمرض أو كبر سن.

وذلك مستفاد من قول سعد رضي الله عنه " أَفَاتَصَدَّقُ بِثُلثِي مَالِي ... "

وفي إحدى روايات البخاري " فقلت لي مَالٌ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ، قال لَا ".

وعند مسلم: " فقلت دَعْنِي أَقْسِمُ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ فَأَبَى "

ولقوله ﷺ: " ما حق امرئ مسلم بيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه ".

وذلك حرصًا وتحريًا لحسن الخاتمة فمن مات على شيء بعث عليه؛ قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٣٢)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الخلقوم، قلت لفلان كذا، ولفلان كذا وقد كان لفلان».

فضل النفقة على الأهل والأولاد

قوله - " وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ " .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبَسَ ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ »
[مسلم]

وفي رواية أبي داود عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » .

وعَنْ أَبِي صَالِحٍ مَوْلَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ، سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنَى»

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - حَثَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عِنْدِي دِينَارٌ؟

فَقَالَ: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ". قَالَ: عِنْدِي آخَرُ؟

قَالَ: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَيَّ وَوَلَدِكَ". قَالَ: عِنْدِي آخَرُ؟

قَالَ: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَيَّ زَوْجَتِكَ". قَالَ: عِنْدِي آخَرُ؟ قَالَ: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَيَّ خَادِمِكَ". قَالَ: عِنْدِي آخَرُ؟ قَالَ: "أَنْتَ أَبْصَرُ".

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ؛ أَفْضَلُهَا الدِّينَارُ الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ».

وَعَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ، يَقُولُ:

"عَلَيْكَ بِعَمَلِ الْأَبْطَالِ: الْكَسْبُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْإِنْفَاقُ عَلَى الْعِيَالِ".

فضل طول العمر في طاعة الله

قوله ﷺ: "إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أزدَدتَ درجَةً ورفعةً"

فتمني الموت مكروه لحديث: " لا يدعون أحدكم بالموت لضر نزل به ولكن ليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي " متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِلَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

بيان فضل الهجرة:

قوله: "اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم"

وذلك ليحصل لهم تمام الأجر؛ ولئلا يموتوا في أرض تركوها حسبة

لله وقربة؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

مُرَآغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ

يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

(النساء: ١٠٠)

وللهجرة فضل عظيم وثواب كبير، قال رسول الله ﷺ: "لَوْلَا
الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ" (١).

وروى البخاري ومسلم عن مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودِ السُّلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ
النَّبِيَّ ﷺ أَبَايَعُهُ عَلَى الْهِجْرَةِ فَقَالَ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ مَضَتْ لِأَهْلِهَا
وَلَكِنْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَالْخَيْرِ. رواه البخاري ومسلم واللفظ
لمسلم.

وأخرج البخاري ومسلم عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: " لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ
فَانْفِرُوا".

وأخرج النسائي وأحمد وصححه الألباني عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَقْدَانَ
السَّعْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَفَدْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدِ كُنَّا
يَطْلُبُ حَاجَةً وَكُنْتُ آخِرَهُمْ دُخُولًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا

(١) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجه.

رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي تَرَكْتُ مَنْ خَلْفِي وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْهَجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ
قَالَ لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْكُفَّارُ^(١).

وروى أحمد وأبو داود والدارمي وصححه الألباني عن معاوية رضي
الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تنقطع الهجرة حتى ينقطع
التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها "^(٢).

ويبقى أنواع للهجرة واجبة على كل مسلم منها الهجرة من الذنب إلى
الطاعة، ومن البدعة إلى السنة، ومن المكان الذي يعصى الله فيه إلى
مكان يطاع فيه الله عز وجل، وكذا الهجرة بترك مصاحبة الأشرار إلى
مصاحبة الأخيار، والهجرة من ديار الكفر إلى دار الإسلام، لا سيما إذا
كان في أرض لا يستطيع فيها إقامة شعائر الدين.

(١) أخرجه النسائي وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم:
(٥٢١٨).

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والدارمي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث
رقم: ٧٤٦٩ .

وروى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ
مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ " (١).

وأخرج مسلم عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ
كَهَجْرَةِ إِلَيَّ (٢).

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

(١) أخرجه البخاري (١٠) (٦١١٩) ومسلم بعضه في الإيمان باب بيان

تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل رقم ٤٠

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٨) وابن ماجه (٣٩٨٥) وأحمد (٢٠٣١٣).

التبيان في شرح حديث "الطهور شرط الإيمان"

تأليف

أبي عاصم البركاتي المصري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّؤُ الْمِيزَانِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّانِ - أَوْ تَمَلَّأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمَعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

معاني الكلمات:

الطهور: فعل التطهر.

شطر: نصف.

الإيمان: التصديق والإذعان والإقرار.

برهان: دليل وحجة قاطعة.

حجة: بيّنة فاصلة.

يغدو: يذهب مبكرا.

بائع نفسه: البيع والشراء من المترادفات.

والمعني بائع نفسه لله تعالى بطاعته، أو لشیطانه وهواه بمعصية الله تعالى.

معتقها: مخلصها ومنجيتها.

موبقها: مهلكها.

فوائد الحديث:

الأولى: هذا الحديث في بيان فضائل الأعمال والترغيب في طاعة الله؛ والترهيب من معصية الله.

الثانية: بيان فضل الطهور؛ والترغيب في المحافظة على الطهارة الحسية الحقيقية من النجاسات والقاذورات وكذا الطهارة الحكيمة من الحديث وكذا طهارة البواطن من الكفر والشرك والنفاق وسائر أدواء القلب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وأوجب الله الطهارة للصلاة؛ وهي الطهارة الحكمية الشرعية
الطهارة من الحدثين الحدث الأكبر والحدث الأصغر؛ قال تعالى
: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ
وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قَالَ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ».

وأخرج البخاري حديث ابن عمر قال إني سمعتُ رسولَ الله
ﷺ يقول: "لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ".

وأخرج مسلم حديث عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ".

وأخرج ابن حبان (١٠٤٨) وحسنه الألباني عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا".
وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ: " لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ". رواه مالك.

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.
وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج : ٢٧).
وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قَالَ: " مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ».

وأوجب الله تعالى طهارة البدن والثوب من البول والغائط وسائر النجاسات والقاذورات وفي الصحيحين وسنن أبي داود وغيرهم واللفظ لمسلم وأبي داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: " إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزُهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِأَثْنَيْنِ، ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَقَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يُبَيِّسَا ".

وأخرج مسلم من حديث سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ».

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: " نَزَلَتْ هَذِهِ
الآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءٍ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] ،
قَالَ: «كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالمَاءِ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةُ».

الثالثة: قوله " الطهور شرط الإيمان " ؛ وشرط أي نصف لأن التطهر
بالماء والمطهرات هو فعل للظواهر أما طهارة الباطن في شرط آخر؛
فطهارة القلب من الغل والحسد فضلا عن الكفر والشرك أمر عظيم؛
وقد وصف الله الشرك بالنجس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (التوبة
:٣٨).

وأخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ
قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ:
إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ
يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرٌ الْحَقُّ، وَغَمَطُ النَّاسِ».

الرابعة: الطهور شرط الإيمان " والإيمان هو التصديق بإذعان وإقرار واستسلام ؛ ويطلق الإيمان على الأعمال قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة : ١٤٣) وإيمانكم : أي صلاتكم.

والصلاة لا تصح إلا بطهور ووضوء.

الخامسة: والحمد لله تملأ الميزان ؛ في الحديث دليل على أن كلمة الحمد لله تملأ الميزان لعظم فضلها ووفرة معناها ودلالاتها على ثناء العبد على الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی وأفعاله الجميلة وافتقاره للغني الحميد كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ كَبِيرًا﴾.

أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياہ وإن كانت مثل زبد البحر " .

قال سفيان الثوري : "ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله " .

وقال إبراهيم النخعي: "كانوا يرون أن الحمد أكثر الكلام تضعيفا".

السادسة: في قوله: "والحمد لله تملأ الميزان".

فالحمد الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٨ / ٣٧٨): الحمد

الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة لها، فلو أخبر مُخْبِرٌ بمحاسن غيره من غير محبة لها، لم يكن حامداً، ولو أَحَبَّهَا ولم يُخْبِرِ بها، لم يكن حامداً.

وفيه الإيثار والتصديق بالميزان يوم القيامة ؛ لوزن الأعمال وله كفتان؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

وثبت في السنة كما في حديث أبي الدرداء قال سمعت النبي ﷺ يقول: "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق". رواه الترمذي.

وقد أجمع أهل السنة على ثبوت الميزان يوم القيامة قال سفيان بن عيينة: "السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط".

كما ورد في البخاري في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرأوا ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾".

السابعة: ورد في صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: "أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر".

وقد ورد للتسبيح والتحميد فضل عظيم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر". متفق عليه.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ" متفق عليه.

وقد حث الله على التسبيح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» رواه مسلم.

الثامنة: "والصلاة نور" قال النووي في شرح مسلم (٣/ ١٠١):

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "وَالصَّلَاةُ نُورٌ" فَمَعْنَاهُ أَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْمَعَاصِي وَتَنْهَى

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَتَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ كَمَا أَنَّ النُّورَ يُسْتَضَاءُ بِهِ
وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَكُونُ أَجْرُهَا نُورًا لِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِأَنَّهَا
سَبَبٌ لِإِشْرَاقِ أَنْوَارِ الْمَعَارِفِ وَإِنْشِرَاحِ الْقَلْبِ وَمُكَاشَفَاتِ الْحَقَائِقِ
لِفِرَاقِ الْقَلْبِ فِيهَا وَإِقْبَالِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهَا تَكُونُ نُورًا ظَاهِرًا
عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَكُونُ فِي الدُّنْيَا أَيْضًا عَلَى وَجْهِهِ الْبَهَاءُ بِخِلَافِ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وفي الحديث عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ
فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢].

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي "الثمر المستطاب" (١ / ٥٣) عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ: ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: " مَنْ
حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَ بُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ

يُحَافِظُ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأَبِي بَنِي خَلْفٍ .

وصلاة الليل نور للمؤمنين في قبورهم كما قال أبو الدرداء

: "صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور".

والصلاة تغسل الخطايا لقول النبي ﷺ : "مثل الصلوات

الخمسة كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل

يوم خمس مرات". رواه مسلم.

والصلاة تكفر السيئات؛ قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي

النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى

لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ:

«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان،

مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر».

والصلاة سبب لتيسير الأمور حصول المطلوب؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

وأخرج أبو داود وحسنه الألباني عن حذيفة، قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى».

ولما نعي لابن عباس رضي الله عنه أخوه وهو في سفر فاسترجع ثم
تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام
يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها
لكبيرة إلا على الخاشعين﴾.

وكلما ازداد المؤمن من الصلاة ازداد نورا وتوفيقا وهداية في الدنيا
والآخرة ومن داوم على الصلاة بخشوع حفظته من الشبهات
والشهوات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ﴾.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "لا تنفع الصلاة إلا من أطاعها".
ثم قرأ هذه الآية.

التاسعة: والصدقة برهان؛ مَعْنَاهُ الصَّدَقَةُ حُجَّةٌ عَلَى إِيمَانِ فَاعِلِهَا ؛

وسميت صدقة لأنها دليل صدق القلب في الإيمان بالله ومحبة الله؛

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ﴾.

العاشر: قوله "والصبر ضياء"؛ فَمَعْنَاهُ الصَّبْرُ الْمُحْبُوبُ فِي الشَّرْعِ.

قال ابن مسعود: "الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله".

والصبر له منزلة عظيمة قال علي بن أبي طالب: "ألا إن الصبر من

الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس باد الجسد ثم رفع

صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له".

والصبر ثلاثة أقسام

قال أبو حاتم: "الصبر على ضروب ثلاثة فالصبر عن المعاصي

والصبر على الطاعات والصبر عند الشدائد المصيبات فأفضلها الصبر

عن المعاصي".

والصبر خير عطاء للمؤمن كما جاء في الحديث: "وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر". متفق عليه.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

وقال عمر بن عبد العزيز: "ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاوض مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرا مما انتزعه".
ولذلك سمي شهر الصوم شهر الصبر وجاء في الحديث: "الصوم نصف الصبر".

الحادية عشر: والقرآن حجة لك أو عليك؛ فَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ أَيْ تَنْفَعُ بِهِ إِنْ تَلَوْتَهُ وَعَمِلْتَ بِهِ وَإِلَّا فَهُوَ حُجَّةٌ عَلَيْكَ.

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

وأخرج مسلم عن أبي أمامة الباهلي، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ». الْبَطْلَةُ: السَّحْرَةُ.

وروي في مصنف ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو مرفوعا؛ وقال ابن حجر العسقلاني في "المطالب العالية" (١٤ / ٣٨٢) إسناده حسن : " يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلًا، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَلْتَهُ إِيَّايَ فَشَرُّ حَامِلٍ تَعَدَّى حُدُودِي، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ: فَشَأْنُكَ بِهِ فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكْبَهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ، وَيُؤْتَى بِرَجُلٍ صَالِحٍ قَدْ كَانَ حَمَلَهُ، وَحَفِظَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ دُونَهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَلْتَهُ إِيَّايَ فَخَيْرُ

حَامِلٍ، حَفِظَ حُدُودِي، وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي، وَاتَّبَعَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ: شَأْنُكَ بِهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُلْبِسَهُ حُلَّةَ الْإِسْتَبْرَقِ، وَيَعْقِدَ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ، وَيَسْقِيَهُ كَأْسَ الْخُمْرِ".

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار".

وقال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ " إن هذا القرآن كائن لكم أجرا وكائن عليكم وزرا فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم القرآن فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة ومن اتبعه القرآن زج في قفاه فخذفه في النار".

الثانية عشر: قوله: "كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها".
معتقها بطاعة الله أو موبقها بمعصية الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

وفي الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى " يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ " .

وورد في الصحيحين قول النبي ﷺ : حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً).

قال الحسن البصري: "المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبتة لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل".

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

بيان فضل الصدقة وأنها تدفع العذاب

أبو عاصم الشحات شعبان البركاتي

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري،
قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ
إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي
أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ
اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ
أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا
وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ
شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ
إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ».

قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»

فوائد الحديث:

- (١) جواز تخصيص النساء بالموعظة
- (٢) جواز حضور النساء المجمع العامة كصلاة الجمعة والجماعة والعيدين بالضوابط الشرعية والصيانة عند امن الفتنة
- (٣) التحذير من لعن من لا يستحق اللعن
- (٤) إطلاق الكُفْرِ على الذُّنُوبِ الَّتِي لَا تُخْرِجُ عَنِ الْمِلَّةِ تَغْلِيظًا عَلَى فَاعِلِهَا.
- (٥) التحذير من جحود الزوج ونكران فضله
- (٦) بيان فضل الصدقة وأنها حجاب من النار
- (٧) جَوَازَ الطَّلَبِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ
- (٨) بيان معنى ناقصات عقل ودين
- (٩) الْعَقْلُ يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ وَكَذَلِكَ الْإِيْمَانُ

(١٠) بيان ان الحائض ممنوعة من الصوم والصلاة والطواف بالبيت حتى تطهر.

(١١) بيان ان الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة.

(١٢) تقديم عموم الرجال على عموم النساء.

(١٣) شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ.

(١٤) عدم جواز تولي المرأة الولايات العامة.

(١٥) بيان شفقة النبي ورحمته بالأمة.

(١٦) استسلام النساء وخوفهن وسرعة استجابتهن لموعظة رسول

الله ﷺ.

(١٧) مُرَاجَعَةُ الْمُتَعَلِّمِ لِمُعَلِّمِهِ وَالتَّابِعِ لِتَبُوعِهِ فِيمَا لَا يَظْهَرُ لَهُ مَعْنَاهُ.

(١٨) بيان أن الأعمال يجبر بعضها بعضها.

(١٩) بيان أن الحسنات يذهبن السيئات

(٢٠) بيان ما كان عليه ﷺ من الخلق العظيم، والصَّفْحِ الْجَمِيلِ،

وَالرَّفْقِ وَالرَّأْفَةِ.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني :

وفي الحديث أن جحد النعم حرام، وكذا كثرة استعمال الكلام القبيح كاللعن والشتيم، وفيه إطلاق الكفر على الذنوب التي لا تخرج عن الملة تغليظا على فاعلها لقوله في بعض طرق الحديث " : بكفرهن "، وهو كإطلاق نفي الأيمان، وفيه أن الصدقة قد تكفر الذنوب التي بين المخلوقين، وفيه أن العقل يقبل الزيادة والنقصان، وكذلك الإيمان، وليس نقص الدين منحصرًا فيما يحصل به الإثم بل في أعم من ذلك وفيه مراجعة المتعلم لمعلمه والتابع لمتبوعه فيما لا يظهر له معناه، وفيه ما كان عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الخلق العظيم والصفح الجميل والرفق والرأفة، زاده الله تشريفا وتكريما وتعظيما " [فتح الباري: (١ / ٤٠٦)]

والله وحده من وراء القصد

شرح حديث " احفظ الله يحفظك "

أبو عاصم البركاتي المصري

أخرج الإمام الترمذي في سننه (٤ / ٦٦٧) برقم (٢٥١٦) بسنده عن

حَنَسِ الصَّنَعَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ

اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ

قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا

بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ."

قال الإمام الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (٢٧٦٣) وعبد بن حميد في المنتخب (٦٣٦) وابن

الجمعد في "المسند" (٣٤٤٥) وأبو يعلى الموصلي في "المسند" (٢٥٥٦)

وفي "المعجم" (٩٦) وهناد بن السري في "الزهد" (٥٣٦) والطبراني

في "المعجم الكبير" (١٢٩٨٨) وفي "الأوسط" (٥٤١٧) والحاكم في "المستدرک" (٦٣٠٣)؛ (٦٣٠٤) والقضاعي في "مسند الشهاب" (٧٤٥)، وفي رواية الإمام أحمد رقم (٢٨٠٣) بسنده عن ابن عباس أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "يَا غَلَامُ، أَوْ يَا غُلِيمَ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟" فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: "أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّحَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"

وقال عبد الحق الإشبيلي في "الأحكام الوسطى" (٢٨٥ / ٤): وهو حديث صحيح.

وقال ابن رجب: هذه الطريق حسنة جيدة " جامع العلوم (١ / ٤٦٢) .

معاني المفردات:

خلف: أي وراء أو رديفه على الدابة.

غلام: أي الصبي الذي ناهز الاحتلام.

احفظ: أي صن وارعى.

تجاهك: أي أمامك.

سألت: دعوت وطلبت.

استعنت: طلبت الإعانة.

كتبه: قدَّره.

رفعت الأقلام: انتهت من الكتابة.

جفت: يبست أي يبس المداد .

الصحف: الكتب التي كتبت فيها المقادير في اللوح المحفوظ.

صحابي الحديث:

أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، (٣ ق هـ / ٦١٨ م - ٦٨ هـ / ٦٨٧ م) صحابي جليل ومحدث وفقه ومفسر، وهو ابن عم النبي محمد ﷺ، وأحد المكثرين لرواية الحديث، حيث روى ١٦٦٠ حديثاً عن الرسول ﷺ، وله في الصحيحين ٧٥ حديثاً متفقاً عليها.

وتفرد البخاري له بـ ١١٠ أحاديث، وتفرد مسلم بن الحجاج بـ ٤٩ حديثاً.

أسلم عبدالله بن عباس قبل أبيه، وهاجر مع أبويه إلى المدينة عام فتح مكة؛ أي: في العام الثامن من الهجرة.

[سير أعلام النبلاء؛ للذهبي ٣/٣٣٣].

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأمي من النساء؛ [البخاري (١٣٥٧)].

دعاء النبي ﷺ لابن عباس:

(١) روى البخاري عن ابن عباس، قال: ضمّني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: "اللهم علّمه الحكمة"؛ [البخاري (٣٧٥٦)].

وأخرج أحمد (٢٨٧٩) بسنده عن ابن عباس، قال: وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنْكَبَيَّ - فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّوِيلَ".

(٢) روى البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءاً، قال: "من وضع هذا؟" فأخبر، فقال: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"؛ [البخاري (١٤٣)].

(٣) روى أحمد عن عبدالله بن عباس قال: أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل، فصلّيتُ خلفه، فأخذ بيدي، فجرني فجعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنست، فصلّى رسول الله ﷺ، فلما انصرف قال لي: "ما شأني أجعلك حذائي فتحنس؟"، فقلت: يا رسول الله، أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي

أعطاك الله؟ قال: فأعجبته، فدعا الله لي أن يزيدني علمًا وفهمًا؛ [مسند أحمد (٣٠٦٠)].

طلب عبد الله بن عباس العلم والحديث من الصحابة، وقرأ القرآن على زيد بن ثابت وأبي بن كعب، وكان يسأل عن المسألة الواحدة ثلاثين من الصحابة.

شرح الحديث:

هذا حديث عظيم القدر حافل بالمعاني والفوائد، مبين وموضح لأصول جليلة من أصول الدين وأركان الإيمان.

بيان جواز الإرداف على الدابة

أولاً: قوله " كنت خلف رسول الله ﷺ " أي رديفه على دابة ، ومن العلماء من قال كان يمشي خلفه ، ومنهم من قال يحتمل أن النبي ﷺ كان راكبا وابن عباس يمشي خلف الدابة، والصواب أنه كان رديف رسول الله ﷺ على الدابة لرواية الإمام أحمد في "المسند" (٢٨٠٣) وفيها التصريح بالإرداف.

وإرداف النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما دليل تواضعه ولينه
ﷺ لأصحابه وآل بيته، روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه
قال : " كان ﷺ يُرَدِّفُ خلفه، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب
دعوة المملوك، ويركب الحمار^(١) ".

أسلوب النداء لإعداد المخاطب وهيئته لتلقي الكلام والخطاب

ثانياً : قوله ﷺ " يا غلام " نداء ، والنداء من أساليب التخاطب
والتواصل عند العرب، ويستعمل للتنبيه واعداد المخاطب لما سيقوله
المتكلم، لأن (النداء) يسترعي أسمع المناديين. حتى يتحقق مقصد
الكلام من التقارب والتفاهم.

والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى ، ولا يعدل من الاسم العَلَمَ
إلى غيره من وصف، أو إضافة إلا لغرض مقصود من تعظيم،
وتكريم أو تلطف وتقرب ، أو قصد تهكم ؛ نحو : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٧١٢٨) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي (١٠١٧) وابن ماجه
(٤١٧٨) وإسناده ضعيف.

الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ (الحجر: ٦)، والنداء في قوله ﷺ
" يا غلام " للتلطف والتحبب والتقريب.

استغلال المواقف والأوقات في الدعوة إلى الله

ثالثاً: في الحديث إشارة إلى أن النبي ﷺ كان لا يخلي موقفاً من دعوة
إلى الله تعالى أو بيان للتوحيد وكذا التحذير من الشرك ومظاهره، أو
من نصح وإرشاد وتعليم.

فالداعية عليه الاستفادة من المواقف والأحداث والوقائع ويستثمرها
في الدعوة وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من ذلك ما أخرجه
الشيخان عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
سَبِيٌّ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي
السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: " أَتَرُونَ
هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ " قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ،
فَقَالَ: "لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا" (١).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤).

وهكذا كان أحيانا يطرح النبي ﷺ سؤالا ليسمع من أصحابه أجوبتهم ويسبر علمهم ويقوم فهمهم، ويحدثهم بأسلوب الحكيم وهو إعطاء الجواب وزيادة من الفوائد.

بيان فصاحة الرسول ﷺ

رابعاً: قوله ﷺ " إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ " أي قليلة المباني لكنها عظيمة المعاني، وكان ﷺ أفصح العرب، ولا يتكلف القول، ولا يكثر السجع، يقول الله تعالى: ﴿ وما ينطق عن الهوى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم : ٣ - ٤).

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ: "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوَضِعَتْ فِي يَدِي". قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - البخاري -: " وَبَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ: أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ، فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ، وَالْأَمْرَيْنِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : " لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ
الْحَدِيثَ كَسَرِدِكُمْ " متفق عليه .

وأيضاً عن عائشة رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، كَانَ " يُحَدِّثُ حَدِيثًا
لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ " متفق عليه .

" احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ "

خامساً : قوله ﷺ " احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ " أي احفظ حدوده ، والزم

أمره وقف عند نهيه ، فاعمل بالشرائع وائته عن المناهي ، قال تعالى :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿

[النساء: ١٣ ، ١٤] .

وقد وعد الله الحافظين لحدوده سبحانه بالجزاء الجميل ، قال تعالى :

﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: ١١٢) . وقال :

﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ . مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ (ق: ٣٢ - ٣٣).

جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: إذ قال له رسول الله ﷺ : "يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: فإنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة؛ ثم قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حقَّ العباد على الله؛ إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "أن لا يُعذبهم".

ومن ذلك المعنى ما أخرجه البخاري عن سهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ".

الجزء من جنس العمل

سادسا: وجملة " احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ " توضح أن الجزء من جنس العمل، وفي الرواية الثانية لهذا الحديث: " تعرّف إلى الله في الرخاء،

يعرفك في الشدة " وهذا في باب الجزاء ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (البقرة : ٤٠) ، وقوله : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة : ١٥٢) وقوله : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٣٠) وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (النساء : ١٤٢).

حفظ النفس من الهلاك

سابعاً: ومن معاني الحفظ من الله للعبد حفظ النفس والبدن عن الهلاك والمصائب ، قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد : ١١). أخرج الطبري في تفسيره (١٦ / ٣٧١) بسنده عن ابن عباس: ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلّوا عنه.

وكان من دعاء النبي ﷺ إذا أصبح إذا أمسى: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ

أَحْفَظُنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي
وَأَعُوذُ بِعَظْمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي" (١).

وقال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الطارق: ٤)

قال الطبري (٢٤ / ٣٥٣): فتأويل الكلام إذن: إن كل نفس
لعليها حافظ من ربها، يحفظ عملها، ويحصي عليها ما تكسب
من خير أو شر.

وقال القرطبي في "تفسيره" (٢٠ / ٣): قَالَ قَتَادَةُ: حَفَظَةٌ
يَحْفَظُونَ عَلَيْكَ رِزْقَكَ وَعَمَلَكَ وَأَجَلَكَ....

وَقِيلَ: الْمَعْنَى إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ: يَحْفَظُهَا مِنْ
الْأَفَاتِ، حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَى الْقَدَرِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: الْحَافِظُ مِنَ اللَّهِ،
يَحْفَظُهَا حَتَّى يَسْلِمَهَا إِلَى الْمَقَادِيرِ. انتهى

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٠٠) وأبو داود (٥٠٧٤) عن ابن عمر
رضي الله عنهما.

حفظ المال والولد

ثامنا: ومن معاني حفظ الله للعبد حفظ ماله وولده ، أخرج الطبري في تفسيره (١٨ / ٩١) بسنده عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس، في قوله ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال: حفظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "وقد يحفظ الله العبد بصلاحه، بعد موته في ذريته، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]: أنها حفظا بصلاح أبيهما! قال سعيد بن المسيّب لابنه: لأزيدنّ في صلاتي من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾. وقال عمر بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموت؛ إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه! .

وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح؛ ولده وولد ولده،
والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ من الله وستر" (١).

حفظ العبد من مضلات الفتن

تاسعا: وكذلك من معاني الحفظ حفظ العبد من مضلات الفتن، فتن

الشبهات وفتن الشهوات، وهذا خاص بالمؤمنين ، قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

(يوسف: ٢٤) وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ

شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٤).

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ

لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣).

وكان النبي ﷺ يرتجز هو والصحابة برجز عبد الله بن رواحة رضي

الله عنه

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١ / ٤٦٧).

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا.
إِنَّ الْأُولَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَعِينَا (١).

وأخرج أحمد (١٢١٠٧) والبخاري في الأدب المفرد (٦٨٣)
عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ
الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ".

ولقد أجاد من قال:

ما سُمِّيَ القلب إلا من تقلبه ... فاحذر على القلب من قلب وتحول

وأخرج مسلم (٢٦٥٤) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ
سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ
إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ"
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا
عَلَى طَاعَتِكَ".

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٦).

عاشرا: الحفيظ اسم الله تعالى، وكذلك الحافظ .

والحفيظ نقيض النسيان والغفلة، وحفظ الشيء صيانتة من التلف والضياع.

قال تعالى: ﴿نَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (هود: ٥٧).

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (سبأ: ٢١).

وأما "الحافظ" فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤). وورد مرتين بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). وقوله: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٢).

ومن آثار الاسمين الكريمين حفظ الله تعالى لعباده بكل أنواع الحفظ والرعاية؛ حفظ عام لجميع الخلق من تيسير الرزق وجلب المنافع ودفع المضار وهذا عام لكل الخلق.

وحفظ خاص لأوليائه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج : ٣٨) .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر : ٣٦) .

ومن معاني الحفظ كذلك حفظ الأعمال وإحصائها وكتابتها في
الصحف قال تعالى : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ (المجادلة : ٦) ، وقال :
﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ (النبأ : ٢٩) . وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ
لِحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الانفطار : ١٠ -
١٢) . وقال : ﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (الطارق : ٤) .

" احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ "

حادي عشر: قوله " احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ " أي تجده أمامك أو تجده
معك، يؤيدك وينصرك ويدافع عنك، وهو سبحانه فوق السماء، فوق
العرش ، فوق جميع الخلق ، ولكنه معنا بعلمه واطلاعه ورؤيته
وتأييده لعباده ولما بعث الله موسى وهارون إلى فرعون قال

لها: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦)، فلا تخفى عليه خافية،
 وقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار، كما في القرآن: ﴿لَا
 تَخْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠)؛ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
 لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)،
 وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).

قصة الثلاثة الذين حبسوا في الغار فنجاهم الله:

أخرج البخاري (٢٢٧٢) بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله
 عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ
 كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ
 الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ
 إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي
 أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي
 طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لهُمَا غَبُوقَهُمَا،
 فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ

عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا
 غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ
 فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَاَنْفَرَجْتُ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ "، قَالَ
 النَّبِيُّ ﷺ: " وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ
 النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَاْمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنْ
 السِّنِينَ، فَجَاءَتْني، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي
 وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ
 تُفْضَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا
 وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ
 فَعَلْتُ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ، فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ
 أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا "، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " وَقَالَ الثَّلَاثُ:
 اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ
 الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ
 حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ

مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي،
فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا،
اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ،
فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ."

النهي عن سؤال غير الله

ثاني عشر: قوله ﷺ " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ " والسؤال هو الدعاء
بتحقيق مرغوب ومطلوب أو رفع مكروه ، وفي الحديث بيان وجوب
تحقيق التوحيد فلا يُسأل إلا الله ، والتوجه بالدعاء لغير الله شرك
بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ
قُطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣-١٤) .
وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠)،
وقال: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأعراف: ٥٥)، وقال: ﴿ قُلْ

مَا يَعْبُؤَا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴿الفرقان: ٧٧﴾، وقال تعالى:
﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).
وأخرج أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" والترمذي وحسنه الألباني
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل
الله يغضب عليه".

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجةً وسلِّ الذي أبوابه لا تحجب
اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤاله وبُنيَّ آدمَ حين يُسأل يغضب
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " لا يغني
حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقى
البلاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة " أخرج الحاكم وحسنه الألباني.
وعن ثوبان مولى رسول الله أنه ﷺ قال: " ولا يرد القدر إلا الدعاء
ولا يزيد في العمر إلا البر " أخرج ابن حبان في صحيحه والحاكم
وحسنه الألباني.

وقال ﷺ: "إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين" رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

بيان معنى الاستعانة

ثالث عشر: قوله ﷺ: " وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ " والاستعانة هي طلب العون ، والسؤال هو طلب ما لا يقدر الداعي عليه، والاستعانة لا تكون إلا بالله ، قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة :٥).

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : " اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ (رواه مسلم) ، وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَخَذَ بِيَدِي يَوْمًا ، ثُمَّ قَالَ: " يَا مُعَاذُ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ " فَقَالَ مُعَاذُ: يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ ، فَقَالَ : "أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ؛ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " [رواه أحمد].

وأما الاستعانة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه فلا بأس بها ، قال -
تعالى :- ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢).

أما فيما لا يقدر عليه نحو طلب الشفاء أو الولد فلا يجوز لأن ذلك
شرك.

وكذا الاستعانة بالأموات أو بالجن أو بالمخلوقين الأحياء الغائبين
فمن صور الشرك بالله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا
يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا
اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴾ (فاطر : ١٣ - ١٤).

وجوب الإيمان بالقدر

رابع عشر: قوله ﷺ " وَعَلِمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ
بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ
يُضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ
وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " .

وهذا أصل في الإيمان بالقدر الذي هو من أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال - (أي: جبريل عليه السلام) - : صدقت.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١ - ٣]. وروى مسلم في صحيحه عن طاووس قال: "أدرکت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز."

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: "جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩].

وأركان الإيمان بالقدر أربعة: وهي العلم والكتابة والمشیئة ثم الخلق.

الركن الأول: علم الله الشامل الكامل:

قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

فعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن كيف كان يكون؛ سبحانه : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: "سُئِلَ النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين".

الركن الثاني: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء:

كما في "صحيح مسلم" عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: "إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة".

وفي حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: "أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بها هو كائن إلى يوم القيامة" (١).

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

ويدخل في الإيمان بكتابة المقادير خمسة من التقادير كلها ترجع إلى العلم، **التقدير الأول:** كتابة ذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، عندما خلق الله القلم وهو التقدير الأزلي.

الثاني: التقدير العمري، حين أخذ الميثاق يوم قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

الثالث: التقدير العمري أيضا عند تخليق النطفة في الرحم، وفي الصحيحين قال النبي ﷺ: "إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم

ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها".

الرابع: التقدير الحولي في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (الدخان : ٣-٤).
الخامس: التقدير اليومي، وهو تنفيذ كل ذلك إلى مواضعه.

الركن الثالث: الإيمان بمشيئة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، وقال: ﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩].

الركن الرابع: الإيمان بأن الله خالق كل شيء:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

قال الإمام أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب - يعني القدر - التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول، فمن عدل عن التوقيف فيه، ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار، اختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم؛ لئلا علمه من الحكمة، وواجبنا أن نقف حيث حد لنا ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم، فلم يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم

إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها، والله أعلم؛ [شرح مسلم
للنووي (١٦ / ١٩٦)].

قوله ﷺ " رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " أي كتبت المقادير منذ
القدم، والفراغ منها. ليس الآن. ولكن منذ أمد بعيد، لأن الصحف
إنما تجف. أو بالأحرى يجف المداد الذي كتبت به. إذا فرغ من الكتابة
وارتفعت الأقلام عنها مدة.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن النَّبِيَّ ﷺ قال له: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ
جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ ".

وفي رواية الأمام أحمد، قوله ﷺ: " جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ".

النهي عن ترك العمل اتكالا على ما سبق من القدر

وقد ثبتت الأحاديث بالنهي عن ترك العمل اتكالا على ما سبق من
القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد بها الشرع، وكل ميسر
لما خُلِقَ له.

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع
الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، ففعد وقعدنا حوله، ومعه مخرصة
فنكس، فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: "ما منكم من أحد، ما من
نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد
كتبت شقيةً أو سعيدةً"، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث
على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: "من كان من أهل السعادة، فسيصير
إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل
أهل الشقاوة"، فقال: "اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون
لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل
الشقاوة"، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

وفي لفظ: "ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار"،
قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: "لا، اعملوا، فكل

ميسر لما خُلِقَ له"، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَّ لَهُ لِيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَّ لَهُ لَلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

وعن جابر رضي الله عنه، قال: جاء سراقه بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأننا خُلِقنا الآن، فيمَ العمل اليوم؟ أفيما جفَّت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيمَ نستقبل؟ قال: "لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير"، قال: ففيمَ العمل؟ فقال: "اعملوا فكل ميسر"؛ رواه مسلم.

هل يتغير القدر؟

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٩٠/١٤) سؤالاً طويلاً وفيه: قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ هل المحو والإثبات في اللوح المحفوظ والكتاب الذي جاء في الصحيح "أنَّ الله تعالى كتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ عَلَى عَرْشِهِ" الحديث. وقد جاء: "جَفَّ الْقَلَمُ" فما معنى ذلك في المحو والإثبات؟

فكان مما أجاب به رحمه الله :

وَالْجَوَابُ الْمُحَقَّقُ: أَنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ لِلْعَبْدِ أَجَلًا فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ
فَإِذَا وَصَلَ رَحِمَهُ زَادَ فِي ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ. وَإِنْ عَمِلَ مَا يُوجِبُ
النَّقْصَ نَقَصَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ. وَنَظِيرُ هَذَا مَا فِي التِّرْمِذِيِّ
وغيره عن النبي ﷺ "أَنَّ آدَمَ لَمَّا طَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُرِيَهُ صُورَةَ
الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَأَرَاهُ إِيَّاهُمْ فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ بَصِيصٌ فَقَالَ
مَنْ هَذَا يَا رَبِّ؟ فَقَالَ ابْنُكَ دَاوُدَ. قَالَ: فَكَمْ عُمُرُهُ؟ قَالَ أَرْبَعُونَ
سَنَةً. قَالَ: وَكَمْ عُمُرِي؟ قَالَ: أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ فَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ مِنْ
عُمُرِي سِتِّينَ سَنَةً. فَكُتِبَ عَلَيْهِ كِتَابٌ وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ
فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِي سِتُّونَ سَنَةً. قَالُوا:
وَهَبْتَهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ. فَأَنْكَرَ ذَلِكَ فَأَخْرَجُوا الْكِتَابَ. قَالَ النَّبِيُّ
ﷺ "فَنَسِيَ آدَمَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَجَحَدَ آدَمَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ".

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَمَّلَ لِأَدَمَ عُمْرَهُ وَلِدَاوُدَ عُمْرَهُ. فَهَذَا دَاوُدَ كَانَ عُمْرُهُ
الْمَكْتُوبُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ جَعَلَهُ سِتِّينَ؛ وَهَذَا مَعْنَى مَا رُوِيَ عَنْ
عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي شَقِيًّا فَامْحِنِي وَاکْتُبْنِي
سَعِيدًا فَإِنَّكَ تَمَحُّو مَا تَشَاءُ وَتُثَبِّتُ". وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِمَا كَانَ
وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ مَا
كَتَبَهُ لَهُ وَمَا يَزِيدُهُ إِيَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالْمَلَائِكَةُ لَا عِلْمَ لَهُمْ إِلَّا مَا
عَلَّمَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَبَعْدَ كَوْنِهَا؛ فَلِهَذَا قَالَ
الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْمَحْوَ وَالْإِثْبَاتَ فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ وَأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَبْدُو لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ وَلَا
إِثْبَاتَ. انتهى

هذا وصلى الله وسلم وبارك

على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

والله وحده من وراء القصد

تقريب الفوائد

بشرح

حديث جريج العابد

تأليف

أبي عاصم البركاتي المصري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

متن الحديث

أخرج البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمُهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته وكانت امرأةً بغيةً يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفئننه لكم، قال: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه

فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟
 قَالُوا: زَيْنَتُ بَهْدِهِ الْبَغِيَّةُ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيِّ؟ فَجَاءُوا
 بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ
 فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانُ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا
 عَلَى جُرَيْجٍ يُقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبِيٌّ لَكَ صَوْمَعَتِكَ مِنْ
 ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ
 يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَاِرْهَةً، وَشَارَةَ حَسَنَةً،
 فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الشَّيْءَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ
 إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُ ".
 قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ
 السَّبَابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمْصُهَا، قَالَ: " وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا
 وَيَقُولُونَ: زَيْنَتُ، سَرَقَتْ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ،
 فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا،
 فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَا جَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلَقَى مَرَّ

رَجُلٌ حَسَنٌ اِهْيَئَةِ فَقُلْتُ: اللّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتُ: اللّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتَ، سَرَقْتَ، فَقُلْتُ: اللّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتُ: اللّهُمَّ اجْعَلَنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتَ وَلَمْ تَزْنِي، وَسَرَقْتَ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللّهُمَّ اجْعَلَنِي مِثْلَهَا".

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري (١٢٠٦) (٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠) وأحمد (٨٠٧١) (٨٠٧٢) وغيرهم.

معاني المفردات:

المهد: الموضع يهياً لينام فيه الصبي؛ والمعنى حال الرضاع والصغر.
صومعة: معبد الرهبان في الأماكن النائية ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّمتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾.
المُوسَات: الفواجر المجاهرات بذلك.

امْرَأَةٌ بَغِيٌّ: زانية.

يَتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا: يضرب بحسنها المثل.

لَأَفْتِنَنَّهُ: لأغوينه بالفاحشة.

فَأَمَكَّتَهُ مِنْ نَفْسِهَا: فأذنت له أن يزني بها.

فَوَقَعَ عَلَيْهَا: فزنى بها.

دَابَّةٌ فَاْرِهَةٌ: أي جميلة وحسنة ونشيطة وحاذقة؛ وفي التنزيل العزيز:

﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾.

وَشَارَةٌ حَسَنَةٌ: والشارة بالشين المعجمة وتخفيف الراء: وهي الجمال

الظاهر في الهيئة والملبس.

تَرَا جَعًا الْحَدِيثَ: حدثت الصبي وحدثها.

حَلَقَى: يقال امرأة عقرى حلقى؛ توصف بالخلاف والشؤم ويقال:

عقرها الله: أي عقر جسدّها وأصابها بوجع في حلقها واشتقاقه من

أنّها تحلق قومها وتعقرهم: أي تستأصلهم من شؤمها عليهم^(١).

(١) كتاب العين للفراهيدي (١ / ١٥٢).

فوائد الحديث

فائدة (١): قوله ﷺ " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمُهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةً " إجمال ؛ يأتي بيانه فيما سيلحق من الحديث؛ والمجمل هو موجز القول؛ ثم بين النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة في الحديث.

ومن الحكم البلاغية للإجمال؛ ووجود المجمل في النصوص:

أ - فيه توطئة للنفس لتقبل البيان.

ب - التنويع في الأساليب للتشويق والإثارة.

ج - فيه دلالة على عظم أمر البيان الذي سيتلو الإجمال.

فائدة (٢) العدد والحصر

قال الإمام النووي: "قَوْلُهُ ﷺ : " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمُهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةً " فَذَكَرَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِمْ الصَّبِيُّ الَّذِي كَانَ مَعَ الْمُرَاةِ فِي حَدِيثِ السَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَقِصَّةِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ الْمَذْكُورِ فِي آخِرِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ

وَجَوَابُهُ أَنَّ ذَلِكَ الصَّبِيِّ لَمْ يَكُنْ فِي الْمُهْدِ بَلْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ صَاحِبِ الْمُهْدِ
وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا (١) .

وقال بدر الدين العيني : " (فإن قلت) ظاهر هذا يقتضي الحضر ومع
هذا روي عن ابن عباس شاهد يوسف كان في المهد قاله القرطبي؛
وعن الضحاک تكلم في المهد أيضا يحيى بن زكريا عليهما السلام وفي
حديث صهيب أنه لما خدد الأخدود تقاعست امرأة عن الأخدود
فقال لها صبيها وهو يرتضع منها يا أمه اصبري فإنك على الحق؛
(قلت): الجواب عن ذلك بوجهين أحدهما أن الثلاثة المذكورين في
الصحيح ليس فيها خلاف والباقون مختلف فيهم وقال ابن عباس
وعكرمة: كان صاحب يوسف ذا لحية؛ وقال مجاهد: الشاهد هو
القميص والجواب الآخر أن النبي - ﷺ - قال ذلك أولا ثم
أطلعه الله على غيرهم وقد يقال التنصيص على الشيء باسمه العلم لا

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٠٦).

يَقْتَضِي الْخُصُوصَ سِوَاءَ كَانِ الْمُنْصُوصَ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ الْعَدَدَ مَقْرُونًا أَوْ
لَمْ يَكُنْ (قلت): الْخِلَافُ فِيهِ مَشْهُورٌ^(١) أَنْتَهَى

قال الشيخ الألباني: لا يخالف هذا الحصر كلام صبي الأخدود الآتي

في الحديث (٢٠٩٤). لأنه ليس فيه أنه كان في المهد، بل كان أكبر من
صاحب المهد، وإن كان صغيراً يرضع، وأما حديث "لم يتكلم في
المهد إلا ثلاثة: عيسى وشاهد يوسف، وصاحب جريج وابن ماشطة
بنت فرعون" فحديث باطل كما بينته في "سلسلة الأحاديث الضعيفة"
(٨٨٤)، وأما ما ذكره بعضهم أن يحيى عليه السلام ممن تكلم في
المهد، فمما لا أصل له مرفوعاً، وإنما هو من زعم الضحاك في تفسيره
كما ذكر الحافظ في "الفتح" (٦ / ٣٤٤).^(٢) أَنْتَهَى

فائدة (٣): كلام عيسى عليه السلام في المهد وذلك لتبرئة أمه مريم
عليها السلام؛ لأنه عليه السلام - كما هو معلوم - ولد بغير أب؛ كما

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧ / ٢٨٤).

(٢) تحقيق مختصر صحيح مسلم للمنذري (٢ / ٤٦٨).

حكى الله تعالى في القرآن في قوله سبحانه: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا . ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (مريم: ٢٩ - ٣٥).

فائدة (٤) : اثبات كرامات الأولياء.

ومن فوائد الحديث إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل السنة
خلافًا للمعتزلة؛ والكرامة هي الأمر الخارق للعادة ليس مقرونا
بالتحدي؛ بخلاف معجزة الأنبياء فهي أمر خارق للعادة مقرونا
بالتحدي؛ ويؤيد الله تعالى الأنبياء والرسول بالمعجزات لتدل على
صدقه فيما ينبر عن الله تعالى؛ أما كرامات الأولياء فتحصل لتبشيتهم
على الحق ولرفع مكانتهم ومنزلتهم ولتدل على صحة ما هم عليه،

وعلى صحة الشريعة التي يعملون بها، ولهذا قيل: كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي يتبعه هذا الولي؛ لأنها شاهد من الله على صدقه. وكرامات الأولياء لا تزال موجودة إلى يوم القيامة يكرم بها الله من شاء من أوليائه؛ قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . هُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤).

ومن ذلك الكلام في المهد؛ وقد حصل من ذلك لجريج بأن أنطق الله تعالى الطفل في المهد لإثبات براءة جريج مما اتهم به؛ ولتفريج كربته وضيقه؛ واستجابة لدعائه وتوسله.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله:

الأولياء هم المؤمنون وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم بإحسان، وهم أهل التقوى والإيمان، وهم المطيعون لله ولرسوله، فكل هؤلاء هم الأولياء سواء كانوا عرباً أو عجمياً بيضاً أو سوداً

أغنياء أو فقراء حكاماً أو محكومين رجالاً أو نساءً لقول الله سبحانه
وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فهؤلاء هم أولياء الله الذين أطاعوا الله
ورسوله، واتقوا غضبه فأدوا حقه وابتعدوا عما نهوا عنه، فهؤلاء هم
الأولياء وهم المذكورون في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ
أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ الآية.

وليسوا أهل الشعوذة ودعوى الخوارق الشيطانية والكرامات
المكذوبة، وإنما هم المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لأمر الله
ورسوله كما تقدم سواء حصلوا على كرامة أو لم يحصلوا عليها^(١).

فائدة (٥) : الإسرائيليات في الحديث النبوي.

وهذا الحديث من الإسرائيليات الصحيحة التي حكاها رسول
الله ﷺ ونقلت بالسند المتصل الصحيح.

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦ / ٣٢٥).

وأنواع الإسرائيليات ثلاثة:

(١) صحيحة معتبرة؛ وهي ما نقل بالسند الصحيح عن رسول الله

ﷺ يحكي فيها أخبارا عن بعض الناس من أهل الكتاب.

(٢) ضعيفة أو منكرة وهي المكذوبات التي لا تتوافق مع أصول

الإسلام وثوابته؛ فهي مردودة.

(٣) ما نقل عن أهل الكتاب من كتبهم أو من خلال بعض من

أسلم منهم؛ ولا يخالف أصول الإسلام وقواعده؛ فهذا مما لا

يصدق ولا يكذب؛ وقد ورد في ذلك حديث أبي نَمْلَةَ

الأنصاري مرفوعاً: " إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ

وَلَا تُكْذِبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُتِبَهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ

تُكْذِبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ^(١) .

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) وأبو داود (٣٦٤٤) وحسن شعيب الأرنؤوط أسناده.

وأخرج البخاري (٣٤٦١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ،
قَالَ: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ
كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

فائدة (٦): الوحي بالسنة إلى رسول الله ﷺ .

في الحديث دلالة على أن مصدر السنة هو الوحي ؛ لأن النبي ﷺ لا
يخبر عن الأمم السابقة إلا وحيًا؛ فهو لم يدرس بل كان عليه الصلاة
والسلام أميًا؛ ولم يعرف له مجالسة أهل الكتاب؛ وكذا ما أخبر عن
وقوعه مستقبلا كل ذلك بالوحي؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا
تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٧ - ٤٨).

وقد وضح النبي ﷺ ذلك بجلاء؛ ففي حديث المقدم بن معدي
كرب عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ
مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكْتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهِذَا الْقُرْآنِ فَمَا

وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا
لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ، وَلَا لُقْطَةٌ
مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ
يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعَقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاةٍ» (١).

وأخرج الشافعي في "المسند" (٣١١) قوله ﷺ : «إِنِّي وَاللَّهِ لَا
يُمْسِكُ النَّاسُ عَلَيَّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَنِّي لَا أُحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَا
أُحَرِّمُ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، يَا صَفِيَّةُ
عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، اَعْمَلَا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا».

ومعنى قوله " لا أُحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَا أُحَرِّمُ إِلَّا مَا حَرَّمَ
اللَّهُ فِي كِتَابِهِ " لا يتكلم إلا بالوحي فكل أقواله وأفعاله وتقريراته
المتعلقة بالتشريع وحي من الله تعالى.

(١) أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

قال الشاطبي - رحمه الله - :

كل ما أخبر به رسول الله ﷺ من خبر فهو كما أخبر، وهو حق وصدق معتمد عليه فيما أخبر به وعنه، سواء انبنى عليه في التكليف حكم أم لا، كما أنه إذا شرع حكماً، أو أقر، أو نهى، فهو كما قال - عليه الصلاة والسلام-، لا يفرق في ذلك بين ما أخبر به الملك عن الله، وبين ما نث في روعه وألقي في نفسه، أو رآه رؤية كشف واطلاع على مغيب على وجه خارق للعادة، أو كيف ما كان فذلك معتبر يحتاج به، ويبنى عليه في الاعتقادات والأعمال جميعاً، لأنه - ﷺ - مؤيد بالعصمة، وما ينطق عن الهوى. (١)

فائدة (٧): الرهبانية قبل الإسلام: والرهبانية هي التخلي عن

الدنيا والزهد فيها والابتعاد عن البشر والتفرغ للعبادة.

وهي عند النصارى ومن شابهوهم تعنى الانقطاع عن الدنيا وحرمان

النفس من شهواتها وملذاتها؛ فيتركون الزواج والطيبات من المآكل

(١) الموافقات (٤ / ٥٢).

والملابس؛ ويتقشفون ويعيشون على فتات الأشياء؛ فاعتزلوا النساء
واتخذوا الصوامع؛ وبعضهم لحقوا بالجبال ونزلوا البراري. قال تعالى
: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٧).

فائدة (٨) الرهبانية في الإسلام.

لا رهبانية في الإسلام؛ فإن الإسلام دين لا يهمل متطلبات النفس
وشهواتها؛ فيعطيها بالسبل المشروعة والطرق الحلال؛ فهو دين
الوسطية والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط؛ وقد أخرج أحمد
(٢٢٢٩١) وغيره حديث: "إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ،
وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ"

وفي حديث آخر مرفوعاً: «إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَلَمْ أُبْعَثْ
بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْبِدْعَةِ، أَلَا وَإِنَّ أَقْوَامًا ابْتَدَعُوا الرَّهْبَانِيَّةَ فَكُتِبَتْ عَلَيْهِمْ، فَمَا

رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، أَلَا فَكُلُوا اللَّحْمَ، وَاتُّتُوا النِّسَاءَ، وَصُومُوا
وَأَفْطِرُوا، وَصَلُّوا وَنَامُوا، فَإِنِّي بِذَلِكَ أُمِرْتُ» (١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: سَأَلْتُ
عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ، : «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ،
فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ
بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي
الْأَرْضِ» (٢) .

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ
رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ،
فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ
غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي
اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا

(١) الطبراني في الكبير (٨ / ١٧٠) (٧٧١٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند وانظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٥٥٥) .

أَعْتَزَلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [متفق عليه].

وفي الصحيحين أيضا عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبْتُلَ، وَلَوْ أذِنَ لَهُ لَأَخْتَصَيْنَا».

والتبتل: هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعا إلى عبادة الله.

وقد رغب النبي ﷺ في النكاح فقال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»

[متفق عليه من حديث ابن مسعود]

الخلطة أفضل من العزلة إلا إذا كان في الخلطة شر.

قال الشيخ ابن عثيمين:

والعزلة خير إذا كان في الخلطة شر، أما إذا لم يكن في الخلطة شر؛

فالاختلاط بالناس أفضل، قال النبي ﷺ: "المؤمن الذي يخالط

الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم".

لكن إذا كانت الخلطة ضرراً عليك في دينك، فانجُ بدينك، كما قال النبي ﷺ: "يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر" يعني يفر بدينه من الفتن. (١) انتهى

الفرق بين الرهبانية والاعتكاف

الاعتكاف سنة نبوية وهو لزوم المكث في المسجد بنية التقرب إلى الله تعالى؛ والاعتكاف لزوم مؤقت غير دائم؛ وهو مستحب غير واجب؛ إلا إذا نذره المعتكف؛ وهو فرصة للخلو للذكر والعبادة؛ وكذا فرصة لشحذ الروح والجسد للعودة للحياة؛ بخلاف الرهبانية فهم ألزموا أنفسهم بها؛ وانقطعوا عن الحياة؛ ورفضوا التعايش مع الناس بحجة الانقطاع للعبادة؛ قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا

(١) شرح رياض الصالحين (٣/٧٢).

عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد: ٢٧).

فائدة (٩): جواز اتخاذ مكان للعبادة.

ويدل عليه حديث أنس بن مالك، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ عِثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقَيْتُ عِثْبَانَ، فَقُلْتُ: حَدِيثُ بَلَّغَنِي عَنْكَ، قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصْرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي، فَاتَّخَذَهُ مُصَلًّى، ... "

[أخرجه مسلم]

فائدة (١٠) فضل بر الوالدين.

ومما يستفاد من الحديث تعظيم شأن الأم ومن ثم الأب؛ فالوالدان حقهما عظيم عند الله تعالى على أبنائهم؛ قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

(الإسراء: ٢٢ - ٢٤). وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء: ٣٦) وقل جل شأنه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: ١٥١). وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الأحقاف: ١٥) وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٨) وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لقمان (١٤) - (١٥).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ:

«ثُمَّ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ . قال: "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف" قيل: من؟ يا رسول الله! قال "من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة". [أخرجه مسلم]

فائدة (١١): تقديم بر الوالدين على نافلة الصلاة.

ويستفاد من الحديث تقديم بر الوالدين على نافلة الصلاة؛ ولهذا قال العلماء: من دعاه والداه فإن كان في نافلة فليقطعها؛ وإن كان في فريضة فليخففها حتى يجيب والديه.

ولهذا بوب الإمام النووي في صحيح مسلم (١٦ / ١٠٥) فقال: باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

ثم قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦ / ١٠٥): قَالَ الْعُلَمَاءُ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ الصَّوَابُ فِي حَقِّهِ إِجَابَتَهَا لِأَنَّهُ كَانَ فِي صَلَاةٍ نَفْلٍ، وَالِاسْتِمْرَارُ فِيهَا تَطَوُّعٌ لَا وَاجِبٌ، وَإِجَابَةُ الْأُمِّ وَبَرُّهَا وَاجِبٌ،

وَعُقُوقُهَا حَرَامٌ ، وَكَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُخَفِّفَ الصَّلَاةَ وَيُجِيبَهَا ثُمَّ يَعُودَ
لِصَلَاتِهِ ، فَلَعَلَّهُ خَشِيَ أَنَّهَا تَدْعُوهُ إِلَى مُفَارَقَةِ صَوْمَعَتِهِ ، وَالْعَوْدِ إِلَى
الدُّنْيَا وَمُتَعَلِّقَاتِهَا وَحُظُوظِهَا ، وَتُضَعِفُ عَزْمَهُ فِيهَا نَوَاهُ وَعَاهَدَ عَلَيْهِ.

فائدة (١٢) : إذا تعارضت الأمور بدئ بأهمها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله :-

"وتمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن
الشرعية مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد
وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة
الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات" (١).

فائدة (١٣) : استجابة دعاء الوالدين في أولادهما.

ومما يستفاد من الحديث بيان أن دعاء الوالدين لأولادهما مستجاب
ويؤكد هذا استجابة الله لدعاء أم جريج على ولدها؛ ومن ذلك أيضا
ما ورد عن أنس بن مالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَهُ

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ٥١٢).

وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَلِّ حِجَابٌ، إِلَّا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَدُعَاءَ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ" ^(٢).

فائدة (١٤): النهي عن الدعاء على الأولاد.

فعلى المرء أن يوطن نفسه على أن يدعو لأولاده لا أن يدعو عليهم حتى لو كان الولد عاقا؛ فالعاق هو أولى بالدعاء له؛ بالهداية والتوفيق؛ فعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى

(١) معجم أبي يعلى الموصلي (٢٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٦٢) وأبو داود الطيالسي (٢٦٣٩) والطبراني في الدعاء

(١٣٢٣) وحسنه الألباني.

أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» (١).

فائدة (١٥): بيان فضل العلم . ومن فوائد الحديث بيان فضل العلم؛

فما وقع جريح رحمه الله فيما وقع فيه إلا بسبب تقديم النافلة على الفريضة والواجب؛ وتقديم الأهم وفقه الأولويات باب عظيم من أبواب العلم؛ وقد وجه النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن لدعوتهم وعلمه أن يبدأ بالأولى والأهم ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ، قَالَ: « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ، ... » الحديث.

فائدة (١٦): رؤية وجوه أصحاب المنكر عقوبة.

يستفاد من الحديث وجوب العزلة والهجر لأهل المعاصي والذنوب إلا إذا كانت المجالسة لدعوتهم وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩) وأبو داود (١٥٣٢).

وإلا فمجالستهم بل رؤيتهم عقوبة، فإن أم جريج دعت عليه بأن يعاقب برؤية وجوه المياميس وهن الزواني الفاجرات المجاهرات بذلك.

فائدة (١٧): واستعينوا بالصبر والصلاة. فإن جريجا لما اتهم لجأ إلى الصلاة فكما ورد في الحديث " فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى .. " وفي الآية قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).

وقال حذيفة رضي الله عنه: «رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ فِي شِمْلَةٍ يُصَلِّي، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»^(١). وفي الحديث قوله ﷺ: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»^(٢)

(١) تعظيم قد الصلاة للمروزي (٢١٢) وحسنه الألباني.

(٢) أبو داود (٤٩٨٦) وأحمد (٢٣٠٨٨).

فائدة (١٨): لا أبوة للزاني.

لا تثبت الأبوة للزاني؛ فولد الزنا ينسب لأمه حتى لو علم الزاني؛
فلعل في شريعتهم كان الولد ينسب للزاني بدليل قوله: " من أبوك " ؛
وقيل أن ذلك للسبب وهو النطفة؛ أي من ماء من أنت ؟ .

فائدة (١٩): إن الله يدافع عن أوليائه.

فإن الله تعالى نجى جريجًا من كربه؛ وأيده بكرامة ترد عنه التهمة
وتبرئ ساحته مما رمي به؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج : ٣٨) وقال سبحانه: ﴿ فَإِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح : ٥ - ٦).

وعن ابن عباس، قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا
غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ،
إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ
اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،

وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (١)

قال الفاكهاني: "معناه؛ احفظ أمر الله واتقه، فلا يراك حيث نهاك، واحفظ حدود الله ومراسمه التي أوجبها عليك، فلا تُضيع منها شيئاً، فإذا فعلت ذلك حفظك الله في نفسك ودينك ودنياك. وهذا من أحسن العبارات عن هذا المعنى وأبلغها وأجزلها، وهو من جوامع الكلم التي أوتيتها ﷺ" (٢).

فائدة (٢٠): أمن يجيب المضطر إذا دعاه.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢).
قال ابن كثير (٦ / ٢٠٤):

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩) الترمذي (٢٥١٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) "قوت المغتذي على جامع الترمذي" للسيوطي (٢ / ٦٠٥).

يُنَبِّهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الْمَدْعُوُّ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، الْمَرْجُوُّ عِنْدَ النَّوَازِلِ، كَمَا قَالَ:
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ ﴾ (الْإِسْرَاءِ:
٦٧) ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ ﴾ (النَّحْلِ:
٥٣) . وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ أَي: مَنْ
هُوَ الَّذِي لَا يَلْجَأُ الْمُضْطَرُّ إِلَّا إِلَيْهِ، وَالَّذِي لَا يَكْشِفُ ضُرَّ الْمُضْطَرِّ
سِوَاهُ.

ثم قال ابن كثير معقبا (٦ / ٢٠٤):

وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجَمَةِ رَجُلٍ - حَكَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
دَاوُدَ الدِّينَوْرِي، الْمَعْرُوفُ بِالْدَّقِّيِّ الصُّوفِيُّ - قَالَ هَذَا الرَّجُلُ : كُنْتُ
أُكَارِي عَلَى بَعْلِ لِي مِنْ دِمَشْقَ إِلَى بَلَدِ الزَّبْدَانِي، فَرَكِبَ مَعِيَ ذَاتَ مَرَّةٍ
رَجُلٌ، فَمَرَرْنَا عَلَى بَعْضِ الطَّرِيقِ، عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ مَسْلُوكَةٍ، فَقَالَ لِي:
خُذْ فِي هَذِهِ، فَإِنَّهَا أَقْرَبُ. فَقُلْتُ: لَا خَبْرَةَ لِي فِيهَا، فَقَالَ: بَلْ هِيَ
أَقْرَبُ. فَسَلَكْنَاهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَكَانٍ وَعَرُ وَوَادٍ عَمِيقٍ، وَفِيهِ قَتْلَى كَثِيرٌ،
فَقَالَ لِي: أَمْسِكْ رَأْسَ الْبَعْلِ حَتَّى أَنْزَلَ. فَزَلَّ وَتَشَمَّرَ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ

ثِيَابَهُ، وَسَلَّ سِكِّينًا مَعَهُ وَقَصَدَنِي، فَفَرَزْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَتَبِعَنِي،
فَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ وَقُلْتُ: خُذِ الْبَغْلَ بِمَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: هُوَ لِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ
قَتْلَكَ. فَخَوَّفْتُهُ اللَّهَ وَالْعُقُوبَةَ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَاسْتَسَلَمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْتُ:
إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتْرُكَنِي حَتَّى أَصِلِّي رَكَعَتَيْنِ؟ فَقَالَ: صَلِّ وَعَجِّلْ. فَقَمْتُ
أَصْلِي فَأَرْتَجِ عَلَيَّ الْقُرْآنُ فَلَمْ يَحْضُرَنِي مِنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ، فَبَقِيْتُ وَاقِفًا
مُتَحِيرًا وَهُوَ يَقُولُ: هِيَه. افْرُغ. فَأَجْرَى اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانِي قَوْلَهُ تَعَالَى:
﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ ، فَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ قَدْ
أَقْبَلْتُ مِنْ فَمِ الْوَادِي، وَبِيَدِهِ حَرْبَةٌ، فَرَمَى بِهَا الرَّجُلَ فَمَا أَخْطَأَتْ فُؤَادَهُ،
فَخَرَّ صَرِيعًا، فَتَعَلَّقْتُ بِالْفَارِسِ وَقُلْتُ: بِاللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا
رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ. قَالَ:
فَأَخَذْتُ الْبَغْلَ وَالْحَمْلَ وَرَجَعْتُ سَالِمًا.

قصة نجاة أحد الصالحين

وَذَكَرَ فِي تَرْجَمَةِ "فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ أُمَّ أَحْمَدَ الْعِجْلِيَّةِ" قَالَتْ: هَزَمَ
الْكَفَّارُ يَوْمًا الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةٍ، فَوَقَفَ جَوَادٌ جَيِّدٌ بِصَاحِبِهِ، وَكَانَ مِنْ

ذَوِي الْيَسَارِ وَمِنَ الصُّلَحَاءِ، فَقَالَ لِلْجَوَادِ: مَا لَكَ؟ وَيْلَكَ. إِنَّمَا كُنْتُ
أَعِدُّكَ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ. فَقَالَ لَهُ الْجَوَادُ: وَمَا لِي لَا أَقْصِرُ وَأَنْتَ تَكُلُّ
عُلُوفَتِي إِلَى السُّوَّاسِ فَيَظْلِمُونَنِي وَلَا يُطْعِمُونَنِي إِلَّا الْقَلِيلَ؟ فَقَالَ:
لَكَ عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ أَنِّي لَا أَعْلِفُكَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَّا فِي حِجْرِي. فَجَرَى
الْجَوَادُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَنَجَّى صَاحِبَهُ، وَكَانَ لَا يَعْلِفُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي
حِجْرِهِ، وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَجَعَلُوا يَقْصِدُونَهُ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ
ذَلِكَ، وَبَلَغَ مَلِكَ الرُّومِ أَمْرُهُ، فَقَالَ: مَا تُضَامُ بِلَدَّةٌ يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ
فِيهَا. وَاحْتَالَ لِيُحْصِلَهُ فِي بَلَدِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلًا مِنَ الْمُرتَدِّينَ عِنْدَهُ،
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ أَظْهَرَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ فِي الْإِسْلَامِ وَقَوْمِهِ، حَتَّى
اسْتَوْثَقَ، ثُمَّ خَرَجَا يَوْمًا يَمْشِيَانِ عَلَى جَنْبِ السَّاحِلِ، وَقَدْ وَاوَدَّ
شَخْصًا آخَرَ مِنْ جِهَةِ مَلِكِ الرُّومِ لِيَتَسَاعَدَا عَلَى أَسْرِهِ، فَلَمَّا اكْتَنَفَاهُ
لِيَأْخُذَاهُ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِنَّهُ إِنَّمَا خَدَعَنِي بِكَ

فَاكْفِينِيهَا بِمَا شِئْتُ، قَالَ: فَخَرَجَ سَبْعَانَ إِلَيْهَا فَأَخَذَاهُمَا، وَرَجَعَ الرَّجُلُ سَالِمًا^(١).

أدعية نبوية لحال الكرب

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، وَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" [البخاري في "الأدب المفرد" (٧٠١)].

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَهَا كَلِمَاتٍ تَقُوهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: «اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [النسائي وابن ماجه].

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٠٦) وتاريخ دمشق (٧٠/ ٩).

قصة عزيمة لعبد الرحمن بن زياد الأفريقي .

قال الذهبي رحمه الله :

أَسْرَتْهُ الرُّومُ، فَقُدِّمَ لِيُقْتَلَ بَعْدَ قَتْلِ طَائِفَةٍ.

قَالَ: فَحَرَّكَتْ شَفَتِي، وَقُلْتُ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا
أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا.

فَأَبْصَرَ الطَّاغِيَةَ فِعْلِي، فَقَالَ: قَدِّمُوا شِمَاسَ الْعَرَبِ، لَعَلَّكَ قُلْتَ: اللَّهُ
اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؟!
قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ عَلِمْتَهُ؟

قُلْتُ: نَبِينَا أَمَرَنَا بِهِ.

فَقَالَ لِي: وَعَيْسَى أَمَرَنَا بِهِ فِي الْإِنْجِيلِ.

فَأَطْلَقَنِي وَمَنْ مَعِيَ (١).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤١٢/٦).

فائدة (٢١): وجوب التثبت من الأخبار والشائعات وعدم المسارعة

في التهمة بلا برهان.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات: ٦).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦).

قال قتادة: "لا تقل سمعت ولم تسمع، ولا تقل رأيت ولم تر، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله".

ويجب إحسان الظن بالمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ لَوْلَا إِذ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (النجم: ٢٨).

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾
(الحجرات : ١٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "إِيَّاكُمْ
وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ".

فائدة (٢٢): الوضوء في الأمم السابقة.

الراجح من ظاهر النصوص أن الوضوء كان مشروعاً في الأمم
السابقة؛ ففي لفظ الحديث في صحيح البخاري برقم (٣٤٣٦):
"فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي"
وقد أخرج الطبراني في الأوسط (٣٦٦١) بسنده عن ابن بريدة، عن
أبيه قال: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَقَالَ:
«هَذَا الْوَضُوءُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ» ثُمَّ تَوَضَّأَ ثَلَاثِينَ ثَلَاثِينَ،

فَقَالَ: «هَذَا وُضُوءُ الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ» ثُمَّ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، فَقَالَ «هَذَا
وُضُوءِي وَوُضُوءُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي».

وأخرج ابن ماجة (٤١٩) والطبراني في "المعجم الكبير" (١٣) /
٢٣٤ (١٣٩٦٨) بسند ضعيف جدا: عن ابن عمر، قال: تَوَضَّأَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً مَرَّةً، وَقَالَ: «هَذَا وَظِيفَةُ الْوُضُوءِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ
اللَّهُ صَلَاةً إِلَّا بِهِ»، ثُمَّ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَقَالَ: «هَذَا الْقَصْدُ مِنَ
الْوُضُوءِ، وَيُضَاعَفُ اللَّهُ الْأَجْرَ لِصَاحِبِهِ مَرَّتَيْنِ»، ثُمَّ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا،
ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وُضُوءِي وَوُضُوءُ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَوُضُوءُ
الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَمَنْ قَالَ بَعْدَ فَرَاغِهِ: "أَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ"، فَتَحَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ».

فائدة (٢٣): كل ذي نعمة محسود.

وهذا حق ؛ والحسد بسبب الطاعة والصلاح أعلى وأشد؛ قال سبحانه
: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ
اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة : ١٠٩﴾.

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنْأَلْوَ سَعْيَهُ ... فَالنَّاسُ أَضْدَادُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضْرَائِرِ الْحُسْنَاءِ قُلْنَ لِزَوْجِهَا ... حَسَدًا وَبَغِيًّا إِنَّهَا لَدَمِيمٌ

وقد نهى الله ورسوله عن الحسد؛ ففي الصحيحين عن أنس بن مالك
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا،
وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ
فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

فائدة (٢٤): عداوة الشيطان وأوليائه لأهل الإيمان.

وقد ظهر هذا جلياً في عداوة عصابة الشر لجريج رحمه الله؛ حتى أنهم
سلطوا عليه امرأة بغيا لفتنته؛ قال تعالى حاكياً عن إبليس: ﴿قَالَ
فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢)

(٨٣-

وقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ
يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء: ٥٣).
وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ . إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا
إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٥ - ٦).

فائدة (٢٥): ليس أحد بعيداً عن تهمة أهل الباطل.

فالأنبياء والرسل لم يسلموا من طعن أهل الباطل وأولياء الشيطان؛
فقد رموهم بالجنون والسفاهة والسحر والشعر والكهانة.
ولهذا قال الشافعي رحمه الله: "ليس إلى السلامة من الناس سبيل،
فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه"

الاحتياط للنفس والعرض

ولهذا احتاط النبي ﷺ من وسوسة الشيطان لبعض الصحابة؛ ففي
الصحيحين من حديث صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَاثْقَلْتُ، فَقَامَ مَعِي

لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ
الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى
رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي
قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا " .

فائدة (٢٦): مشروعية الدفاع عن النفس.

فإن جريماً دافع عن نفسه وطعن في بطن الغلام متوكلاً على الله
فأنطق الله الرضيع ببراءة جريج؛ فلم يستسلم للتهمة الباطلة؛ قال
تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ﴾
(الشورى: ٤١)، وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤).

ويوسف عليه السلام دافع عن نفسه قائلاً - كما في القرآن: ﴿قَالَ
هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ (يوسف: ٢٦).

وفي الحديث عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تُعطه مالك» قال: أرايت إن قاتلني؟ قال: «قاتله» قال: أرايت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرايت إن قتلته؟ قال: «هو في النار» [مسلم].

وروى أبو داود عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله، أو دون دمه، أو دون دينه فهو شهيد».

فائدة (٢٧): من أتلف شيئاً فعليه إصلاحه.

فمن أتلف أو أفسد مالا محترما فعليه ضمانه؛ بالقيمة أو بالمثل ومن ذلك قول جريح عن صومعته بعد تكسيرها "أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا".

قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (النحل :

(١٢٦).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن بعض أزواج النبي - ﷺ -
أهدت طعاماً في قصعة، فضربت عائشة رضي الله عنها القصعة بيدها
فألقت ما فيها وكسرتها فأخذ النبي - ﷺ - قصعة عائشة وردها "
طعام بطعام وإناء بإناء". [البخاري]

فائدة (٢٨): عدم الاغترار بالمظاهر.

ومما يستفاد من الحديث عدم الاغترار بالمظاهر ففي الحديث قول
الطفل الرضيع عن الرجل صاحب الشارة والدابة الفارهة: "اللهم لا
تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ" لأنه كان جباراً ظالماً؛ ومما يؤكد هذا ما ورد في الحديث
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي
الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ،
وَقَالَ: اقْرَأُوا، ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥]"
متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ،
مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ» [مسلم (٢٦٢٢)].

وكذا أيضا عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ :
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ
وَأَعْمَالِكُمْ» [مسلم (٢٦٢٢)]

فائدة (٢٩): الدنيا يعطيها الله للمؤمن والكافر.

فالله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين
إلا لمن أحب، ولهذا أكثر أهل الجنة الضعفاء وأكثر أهل النار
الجبارون والمتكبرون فعن حارثة بن وهب قال: قال رسول الله ﷺ
: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ
لَأَبْرَهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٌ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٌ: «كُلُّ جَوَاطٍ زَنِيمٌ مُتَكَبِّرٌ».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ :
«أَخْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ،
وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ:
أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ - وَرَبِّيَا قَالَ: أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ -

وَقَالَ لَهُدِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ
مَلُؤَهَا".

فائدة (٣٠): الوسيلة التعليمية لتقريب المعنى وتسهيل الفهم.

ويستفاد من الحديث التمثيل لتقريب الفهم والمعنى واستعمال ما يعين
على ذلك؛ فإن النبي ﷺ وضع إصبعه في فمه يحكي ارتضاع
الصبي؛ وقد اتخذ النبي ﷺ الوسيلة التعليمية في أكثر من مناسبة؛
فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا
مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا
الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: " هَذَا الْإِنْسَانُ،
وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ،
وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ
أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا " [البخاري].

وكذا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ

يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا
شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).
[الدارمي (٢٠٨) وأحمد (٤١٤٢)].

فائدة (٣١): الترهيب من الظلم والطغيان .

وقد دعا الطفل الرضيع في الحديث بألا يجعله الله مثل الرجل
لأنه كان جبارا ظلما متكبرا؛ والله تعالى يقول : ﴿ وَقَدْ خَابَ
مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (طه : ١١١).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي،
وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا". [مسلم (٢٥٧٧)].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: "اتَّقُوا
الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [مسلم (٢٥٧٨)].

فائدة (٣٢): فضل الصبر على الظلم.

الصبر على المظالم عاقبته إلى خير لا شك؛ إما في الدنيا والآخرة؛ ومن ذلك صبر بلال رضي الله عنه؛ فعن عبد الله بن مسعود، قال: " كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَالْبَسُوهُمْ أَذْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدَّ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِبِلَالٍ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ " [ابن ماجه (١٥٠)].

صبرا آل ياسر: وأخرج الطبراني في الأوسط (١٥٠٨) عن جابر، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَهْلِهِ، وَهُمْ يُعَذِّبُونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ».

قصة صهيب رضي الله عنه

فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَاتَّبَعَهُ نَفْرًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَانْتَثَلَ مَا فِي كِنَانَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاطِكُمْ رَجُلًا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أُرْمِيَ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِيَ فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ أَضْرِبَ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَالِي وَقَيْتِي بِمَكَّةَ وَخَلَيْتُمْ سَبِيلِي" ، قَالُوا: نَعَمْ، فَفَعَلَ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ قَالَ: "رَبِحَ الْبَيْعَ أَبَا يُحْيَى رِبْحَ الْبَيْعِ أَبَا يُحْيَى ، قَالَ: وَنَزَلَتْ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ". [مسند الحارث (٦٧٩)].

فائدة (٣٣): فضل قول: حسبي الله ونعم الوكيل.

ومن فوائد الحديث قول الأمة المتهممة بالباطل ظلما وزورا: "حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" فهو دعاء الصالحين والمظلومين والضعفاء؛ وقد

أمر الله به؛ قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٩).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣). وأخرج البخاري بسنده (٤٥٦٣)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ» حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ التَّمَّ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَتَنَظَّرُ أَنْ

يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ» قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبَّنَا» (١).

فائدة (٣٤): فضل ضعفة المسلمين والفقراء الخاملين.

ومما يستفاد من الحديث بيان فضل الضعفاء وبيان سوء عاقبة المتكبرين والظالمين؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يُحْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ.

وقد بوب الإمام النووي في "رياض الصالحين" (ص ١٠٣): باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين.

جاء فيه عن حارثة بن وهب - رضي الله عنه - قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ

(١) الترمذي (٣٢٤٣) والحميدي في مسنده (٧٧١) وصححه الألباني.

أُقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطِ
مُسْتَكْبِرٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعن أبي عباس سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قَالَ: مَرَّ
رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٌ: «مَا رَأَيْكَ فِي
هَذَا؟»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ
يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ
آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا
يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قَالَ:
«اِحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتِ
الْجَنَّةُ: فِي ضِعْفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينِهِمْ، فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكَ الْجَنَّةُ

رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ،
وَلِكُلِّكُمْ عَلَيَّ مَلُؤُهُا». رواه مسلم.

وعن أسامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ
الْجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةٌ مِنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ
أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةٌ
مَنْ دَخَلَهَا النَّسَاءُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فائدة (٣٥): فضل الزهد.

يعني القناعة باليسير؛ والزهد في الملبس والأكل والمركب مع أن الله
تعالى أباح الطيبات من الرزق؛ ولكن ينبغي ألا يكون بإسراف
ومخيلة؛ قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ
يَهْبِجُ فَتِرَاهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرِّثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾ (آل
عمران: ١٤).

وعن عبد الله بن أبي أمامة الحارثي، عن أبيه، قال: قال رسول
الله ﷺ: «البداذة من الإيمان»، قال: البذاذة القشافة، يعني
التقشف^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أبشروا وأملوا ما يسرركم، فوالله ما
الفقر أخشى عليكم، ولكنني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما
بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم
كما أهلكتهم». متفق عليه.

(١) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه واللفظ له.

وعن أنس - رضي الله عنه: أن النبي - ﷺ - قال: «اللَّهُمَّ لَا
عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ». متفقٌ عَلَيْهِ.

هذا ما تيسر

والله من وراء القصد

٢٠١٨ - ١٤٣٩

الحمد لله

فتح الولي المغني

بشرح حديث

" من رغب عن سنّي فليس مني "

أعدّه

أبو عاصم الشحات شعبان البركاتي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي.

وَلَفْظُ مُسْلِمٍ: عَنِ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ

وَأْتَنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ،
وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"

معاني المفردات:

الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة، وهو اسم جمع لا واحد له من

لفظه، والنفر: من ثلاثة إلى تسعة.

أزواج النبي: أمهات المؤمنين.

تقالوها: رأوا أنها قليلة.

أخشاكم: الخشية خوف مع تعظيم.

أتقاكم: التقوى الخوف من الله بمجانبة ما نهى عنه وفعل ما أمر به.

رغب عن: أي أعرض عن؛ وأبى وكره.

سنتي: السنة الطريقة والهدي.

ليس مني: أي ليس على هداي، وعاند سنتي.

فوائد الحديث

الفائدة الأولى: الثلاثة رهط الذين في الحديث قيل هم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو، وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم [فتح الباري " لابن حجر (٩/١٤)].

الفائدة الثانية: حرص الصحابة على التأسي برسول الله ﷺ بدليل سؤالهم عن عبادته؛ رجاء مقاربتة في الجنة؛ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

الفائدة الثالثة: أحب الأعمال أدومها وإن قل.

فالنبي ﷺ كان عمله ديمة؛ وقليل يدوم خير من كثير ينقطع. وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ" متفق عليه.

قال ابن الجوزي: قوله: " فَإِن أَحَب الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدومَهَا وَإِن قَلَّ "

إِنَّمَا أَحَب الدَّائِمَ لمعنيين:

أحدهما: أن المقبل على الله عز وجل بِالْعَمَلِ إِذَا تَرَكَه من غير

عذر كَانَ كالمعرض بعد الوصل، فَهُوَ معرض للذم، وَهَذَا ورد

الْوَعِيدِ فِي حق من حفظ آية ثُمَّ نَسِيَهَا، وَإِن كَانَ قَبْلَ حِفْظِهَا لَا

يَتَعَيَّن عَلَيْهِ الحِفْظُ، وَلَكِنَّهُ أَعْرَضَ بعد المواصلة، فلاق بِهِ

الْوَعِيدِ، وَكَذَلِكَ يكره أَن يُؤْثِرَ الْإِنْسَانَ بمكانه من الصَّفِّ

الأول لِأَنَّهُ كَالرَّاغِبِ عَنِ الْقُرْبِ إِلَى اللَّهِ عز وجل، وَهَذَا قَالَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ لعبد الله بن عمرو: " لَا تَكُونَنَّ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ

يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ ".

وَالثَّانِي: أَن مَدَامُ الْخَيْرِ مَلَاظِمٌ لِلْخِدْمَةِ، فَكَأَنَّهُ يَتَرَدَّدُ إِلَى بَابِ

الطَّاعَةِ كُلِّ وَقْتٍ، فَلَا يَنْسَى مِنَ الْبُرِّ لَتَرَدُّدِهِ، وَلَيْسَ كَمَنْ لَأَزِمَ

الْبَابُ يَوْمًا دَائِمًا ثُمَّ انْقَطَعَ شَهْرًا كَامِلًا. [كشف المشكل من

حديث الصحيحين (٤ / ٢٧٨)]

الفائدة الرابعة : القصد والوسطية في العبادة هدي رسول الله ﷺ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه (١ - ٢)].

قال مجاهد: هي كقوله: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل (٢٠)].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة

(١٨٥)].

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج

(٧٨)].

وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما، قَالَ: "كُنْتُ

أَصِلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ

قَصْدًا". رواه مسلم.

قوله: "قَصْدًا": أي بين الطول والقصر.

الفائدة الخامسة: هلك المنتطعون.

والمنتطعون: المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد؛ وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ - دخل عليها وعندها امرأة، قال: "من هذه؟" قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها. قال: "مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا" وكان أحب الدين إليه ما دأوم صاحبه عليه. متفق عليه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، قال: "هلك المنتطعون". قالها ثلاثاً. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "إن الدين يُسر، ولكن يُشاد الدين إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" رواه البخاري.

وفي رواية له: "سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشِيءٌ مِنْ
الدُّجَةِ، الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا".

وعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ
مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا الْحَبْلُ؟" قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِرَيْبِ،
فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: "حُلُّوهُ، لِيُصَلَ أَحَدُكُمْ
نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعن أبي جُحَيْفَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - قَالَ: آخَى
النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ
الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ
حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي
صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ فَأَكُلُ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو
الدَّرْدَاءِ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ
مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلِّيًا جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ
لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا أَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،

فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: "صَدَقَ سَلْمَانٌ". رواه البخاري.

**الفائدة السادسة: النكاح من سنن الإسلام، وأنه لا رهبانية في
الإسلام.**

قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ
وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾

وعن عبد الله بن مسعود قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا
مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ
لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ
وِجَاءٌ" متفق عليه.

وأخرج البخاري حديث سعد بن أبي وقاص، قال: "رد رسول
الله ﷺ على عثمان ابن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا".

ومن مقاصد الزواج:

- (١) تلبية مطلب الغريزة الجنسية بطريقة شرعية.
- (٢) وحماية للمجتمع من مشاكل الزنا، والأولاد اللقطاء .
- (٣) استمرار النوع الإنساني بالتناسل عن طريق الزواج.
- (٤) حفظ الأنساب التي بها تقوم حقوق الميراث وصلة الرحم والبر.
- (٥) ترابط الأسر بالمصاهرة.
- (٦) الحماية من الأمراض التي تنشأ عن العلاقات الجنسية غير الشرعية كالزهري، وفقد المناعة.
- (٧) استقرار الحياة الزوجية في ظروف هادئة مناسبة.

الفائدة السابعة: لا صام من صام الأبد.

أخرج البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ، أَنِّي أَسْرُدُ الصَّوْمَ، وَأُصَلِّي اللَّيْلَ، فَإِمَّا أُرْسَلَ إِلَيَّ وَإِمَّا لَقَيْتُهُ، فَقَالَ: "أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ وَلَا تُفْطِرُ، وَتُصَلِّي؟ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَظًّا"، قَالَ: إِنِّي

لَأَقْوَى لِدَلِك، قَالَ: "فَصُمْ صِيَامَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ" قَالَ: وَكَيْفَ؟
قَالَ: "كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى"، قَالَ: مَنْ لِي
بِهَذِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ - قَالَ عَطَاءٌ: لَا أَدْرِي كَيْفَ ذَكَرَ صِيَامَ الْأَبَدِ - قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: "لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ" مَرَّتَيْنِ.

وأخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما،
يقول: بلغ النبي ﷺ أَنِّي أَصُومُ أَسْرُدُ، وَأُصَلِّي اللَّيْلَ، فِيمَا أَرْسَلَ إِلَيَّ
وَأِمَّا لَقِيْتُهُ، فَقَالَ: "أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ وَلَا تُفْطِرُ، وَتُصَلِّي اللَّيْلَ؟ فَلَا
تَفْعَلْ، فَإِنَّ لِعَيْنِكَ حَظًّا، وَلِنَفْسِكَ حَظًّا، وَلِلْأَهْلِكَ حَظًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ،
وَصَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ مِنْ كُلِّ عَشْرَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، وَلَكَ أَجْرُ تِسْعَةٍ" قَالَ: إِنِّي
أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: "فَصُمْ صِيَامَ دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ" قَالَ: وَكَيْفَ كَانَ دَاوُدُ يَصُومُ؟ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: "كَانَ يَصُومُ
يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى" قَالَ: مَنْ لِي بِهِذِهِ؟ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، -
قَالَ عَطَاءٌ: فَلَا أَدْرِي كَيْفَ ذَكَرَ صِيَامَ الْأَبَدِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا
صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ".

الفائدة الثامنة: العلم التام يستلزم الخشية .

قال ابن رجب في "فتح الباري" (١ / ٩٠) : فلما زادت معرفة الرسول بربه زادت خشيته له وتقواه، فإن العلم التام يستلزم الخشية كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] فمن كان بالله وبأسماؤه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلم كان له أخشى وأتقى، إنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله. وقد خرج البخاري في آخر "صحيحه" عن مسروق قال: قالت عائشة: صنع النبي ﷺ شيئاً ترخص فيه وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله ثم قال: " ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟! فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم خشية".

الفائدة التاسعة: النبي ﷺ أفضل الخلق فلا يسبقه في الخير إنسان.

أخرج الإمام أحمد (٣٦٠٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ.

الفائدة العاشرة: رسول الله ﷺ لا يكتف شيئا مما أمر بتبليغه وبيانه.

قال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن : ١٢]

قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم : ٤]

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ " .

الفائدة الحادية عشر: رحمة النبي ﷺ وشفقته بالأمة.

قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨].

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران]:
[١٥٩].

وعن معاذ بن جبل وأبي بردة - رضي الله عنهم - قال لهما رسول الله ﷺ: لهما بعثهما إلى اليمن: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا" متفق عليه.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "ذُرُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ؟ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ" *
وعن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى رِجَالَ بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، فَصَلُّوا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةَ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ

يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا"
متفق عليه

الفائدة الثانية عشر: استحباب إخفاء العبادة لمن لا يقتدى به .

قال تعالى : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١)

وأخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال سمعت رسول
الله ﷺ يقول: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ؛ إمام
عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد
ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعت امرأه
ذات منصب وجمال فقالت إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة
فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه".

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنْ صَدَقَ السِّرُّ تَطْفِئَ غَضَبَ الرَّبِّ ".

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صِنَاعُ الْمَعْرُوفِ تَقِيٌّ مَصَارِعَ السُّوءِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَصَلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ".

الفائدة الثالثة عشر: لا بأس بإظهار العبادة عند أمن الرياء.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ، كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ، كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ "

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: "يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةٌ كُنْتُ أَنْسِيْتُهَا مِنْ سُورَةٍ كَذَا وَكَذَا".

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ

مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ " متفق عليه .

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: "تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ".

الفائدة الرابعة عشر: فيه الرد على مَنْ مَنَعَ اسْتِعْمَالَ الْحَلَالِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَلْبَسَةِ وَآثَرَ غَلِيظِ الثِّيَابِ وَخَشِنَ الْمَأْكَلِ.

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣١ / ٣٢)

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ (المائدة: ٨٧) .

وليس من الورع ترك المباح ؛ لأن الورع مندوب إليه، وهذه المباحات قد سوى الله بين فعلها وتركها، والندب مع التسوية لا يستقيم.

الفائدة الخامسة عشر: سماحة الإسلام ويسر شريعته.

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ (التغابن: ١٦).

وقال ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم. وما نهيتكم عنه فانتهوا" رواه البخاري.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بينما النبي - ﷺ - يخطب، إذ هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي - ﷺ -: "مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه"، رواه البخاري.

الفائدة السادسة عشر: التحذير من حبوط العبادة.

وذلك مستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام "فمن رغب عن سنتي فليس مني" فليحذر من شرع لنفسه؛ ورسم طريقة يجذوها من في

الأصل والحقيقة أو في الصفة من حبوط العبادة؛ قال تعالى : ﴿ أَمْ هُمْ
شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (الشورى: ٢١)
وقد صح عنه - ﷺ -: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
" متفق عليه ،

وفي لفظ آخر: " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " متفق عليه.

الفائدة السابعة عشر: وجوب الاقتداء برسول الله.

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٣١ - ٣٢)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء : ٥٩).

ومن حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ" رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" رواه البخاري.

الفائدة الثامنة عشر: إزالة الشبهات عن المجتهدين، وإثبات الأحكام المحكمة والحكيمة.

وذلك مستفاد من قوله ﷺ: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؛ ثم بين لهم الصواب والحق؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]. وقال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِهِمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وأخرج مسلم قوله ﷺ: "إن الله لم يبعثني معتاً، ولا متعتاً، ولكن
بعثني معلماً ميسراً".

الفائدة التاسعة عشر: سنة النبي ﷺ تشريع إلهي من الله عز

وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ يُوحَىٰ﴾؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا

**أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥] وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ
فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.**

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ
تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، فذكر الله الكتاب وهو القرآن،

وذكر الحكمة، والحكمة سنة رسول الله ﷺ.

الفائدة العشرون: الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة بامثال هدي

النبي ﷺ . قال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

وأخرج الحاكم في "المستدرک" رقم (٢٠٧) عن طارق بن شهاب، قال: خرج عمرُ ابنُ الخطَّابِ إلى الشامِ ومَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ فَأَتَوْا عَلِيَّ مَخَاضَةَ وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِرِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمُخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِرِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمُخَاضَةَ؟ مَا يَسْرُنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: ﴿أَوْهَ لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرِكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتَهُ نَكَالًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ

قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطَلَبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ
أَذَلَّنَا اللَّهُ ﴿﴾.

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : " ... فَعَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّ
السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَرَفَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الْخَطَا، وَالزَّلَلِ،
وَالْحُمُقِ، وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ بِمَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ
عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ قَدْ كَفُّوا، وَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ
أَقْوَى، فَقَدْ تَكَلَّمُوا مِنْهُ مَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَإِنَّهُمْ بَيْنَ
ذَلِكَ - أَيِ: الْمُقْصِرِينَ وَالْغُلَاةِ - لَعَلَى هُدَى مُسْتَقِيمٍ " [الاعتصام
(١/٥٠)]

الفائدة الحادية والعشرون: الرتب العالية لا تنال إلا باتباع رسول الله

ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥١﴾

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَا أَعَدَدْتُ لَهَا" قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ".

وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" (٣٥١)، وأبو داود (٥١٢٦) عن أبي ذرٍّ، أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ، قَالَ: "أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"، قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ، وَرَسُولَهُ، قَالَ: "فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" قَالَ: فَأَعَادَهَا أَبُو ذَرٍّ فَأَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قال ابن القيم في حاشيته على سنن أبي داود (٢٥/١٤): يَعْنِي مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا بِالْإِخْلَاصِ يَكُونُ مِنْ زُمْرَتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلَهُمْ لِثُبُوتِ

التَّقَارُبِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَرُبَّمَا تُؤَدِّي تِلْكَ الْمُحَبَّةُ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَفِيهِ حَثٌّ عَلَى مَحَبَّةِ الصُّلَحَاءِ وَالْأَخْيَارِ رَجَاءَ اللَّحَاقِ بِهِمْ وَالْخَلَاصِ مِنَ النَّارِ.

الفائدة الثانية والعشرون: التحذير من مخالفة أمر النبي ﷺ. قال تعالى

: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

قال أبو بكر - رضي الله عنه - : لست تاركًا شيئًا كان رسول الله -

ﷺ - يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن

أزيغ . [متفق عليه]

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - : إنما هو كتاب الله وسنة رسول

الله - ﷺ - ، فمن قال بعد ذلك برأيه؛ فلا أدري أفي حسناته يجد

ذلك، أم في سيئاته [إعلام الموقعين].

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - : من ترك السنة كفر.

عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : لا رأي لأحد مع سنة سنه
رسول الله ﷺ.

موقف حصل يوم أحد

وانظروا يوم غزوة أحد يوم اختار النبي ﷺ جيشا من الرماة ؛
والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث البراء قال:
لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشا من الرماة، وأمر
عليهم عبد الله بن جبير، وقال: " لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا، فلا
تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا، فلا تعينونا " .

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، فانهمز عدو الله
وولّوا مدبرين حتى انتهوا إلى نساءهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا
مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وقالوا: يا قوم،
الغنيمة، فذكرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ، فلم يسمعوا، وظنوا
أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلوا الثغرة،
وكرّ فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا، قد خلا من الرماة،

فجازوا منه فتمكنوا حتى أقبل آخريهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكانت السفلى، وهشموا البيض على رأسه، ورموه بالحجارة حتى وقع على شقه، وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين، فأخذ عليّ بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله، وكان الذي تولى أذاه ﷺ عمرو بن قمئة، وعتبة بن أبي وقاص. وقيل إن عبد الله بن شهاب الزهيري عم محمد بن مسلم ابن شهاب الزهيري هو الذي شجّه.

وقتل مصعب بن عمير بين يديه، فدفن اللواء لعلي بن أبي طالب، ونشبت خلقتان من خلق المغفر في وجهه فانتزعها أبو عبيدة بن الجراح، وعرض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته، وأدرك المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه، فحال

دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا، ثم جادلهم طلحة حتى
أجهضهم عنه، وترّس أبو دجانة عليه بظهره والنبل يقع فيه، وهو لا
يتحرك وأصابت يومئذ عين قتادة بن النعمان، فأتى بها رسول الله
ﷺ، فردها عليه بيده، وكانت أصح عينيه وأحسنها، وصرخ
الشیطان بأعلى صوته: إن محمداً قتل ووقع ذلك في قلوب كثير من
المسلمين، وفرّ أكثرهم، وكان أمر الله قدرا مقدورا. [راجع غزوات
النبي ﷺ للسيد الجميلي ص ٤٨ - ٥٠]

والله من وراء القصد

الحمد لله

تحفة النفوس المطمئنة

بشرح حديث

" من يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ "

كتبه /

أبو عاصم البركاتي المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

فإن أحاديث رسول الله ﷺ احتوت على فوائد شتى وحكم وعبر وعظات جمّة؛ ولكنها في كثير من الأحيان تحتاج إلى من يستخرجها ويظهرها لعموم الأمة ليتعبد لله بها؛ فهي تحتاج إلى دقيق الاستنباط كما تحتاج الدرّة إلى من يرصعها ويلمعها؛ والمستنبط والمجتهد كلما نظر في حديث رسول الله ﷺ كلما أخرج منه أحكاما تصلح لوقائع ونوازل مستجدة لم يسمع بها الأوائل ممن سلف؛ ورحم الله من قال:

" تناهي النصوص ولا تنهى الحوادث أو الوقائع " ولهذا تحتاج النوازل إلى من ينظر في حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيجد لها حكما بالقياس أو بالعمومات أو تطبيقا للقواعد الفقهية التي يمكن أن يندرج تحتها كثيرٌ من المسائل؛ وذلك حتى لا تقع الأمة في حرج بسبب الجهل بأحكام المستجدات والنوازل؛ وقد أعمل شرح الحديث جهدهم في خدمة سنة النبي ﷺ؛ ولكن كم ترك الأول للآخر؛ وهذه محاولة في شرح حديث من حديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم؛ لعلها تكون لي ذخرا في الآخرة والحمد لله وحده؛ وصلى
الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه.

متن الحديث

أخرج مسلم في صحيحه برقم (٥٢) قال: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ،
حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنْفِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي
أَبُو كَثِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ
أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ
أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا
لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رِبِيعٌ
يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بئرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجُدُولُ -
فَاخْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ» فَقُلْتُ:
نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتُ
فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ،

فَأْتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهُوَ لِأَيِّ النَّاسِ
وَرَائِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: «أَذْهَبُ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ،
فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا
قَلْبُهُ، فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ
النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَعْثَنِي بِهِمَا
مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ،
فَضْرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَخَرَزْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا
هُرَيْرَةَ، فَارْجِعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ،
فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»
قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعْثَنِي بِهِ، فَضْرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيْ ضَرْبَةً
خَرَزْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عُمَرُ، مَا
حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَأْبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبْعَثْتَ أَبَا
هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ

بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيَّهَا، فَخَلَّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَخَلَّهِمْ».

مفردات الحديث:

فأبطأ: تأخر في الرجوع

يقتطع: يؤخذ ويؤذى.

فزعنا: الفزع الخوف.

الحائط: البستان يكون له سور ولا سقف له.

فاحتفرت: أي صغرت جسمي وطويت بدني ومعناه: تضاممت

ليسعني المدخل. ورويت فاحتفرت بالراء؛ قال النووي: رواية

الزاي أقرب من حيث المعنى، ويدلُّ عليه تشبيهه بفعل الثعلب وهو

تضامه في المضايق. وأما صاحب التحرير فأنكر الزاي وخطأ روايتها،

واختار الراء، وليس اختياره بمختار". شرح صحيح مسلم للنووي

(٢٣٦/١).

الإست: مؤخرة الإنسان ومقعدته.

أجهشت بالبكاء: كدت أن أبكي.

ركبني عمر: أي تبعني.

فوائد الحديث

فائدة (١): الحديث من رواية أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه.

وأسوق ترجمة مختصرة لأبي هريرة رضي الله عنه فأقول:

أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس اليماني، وكان اسم أبي هريرة في الجاهلية عبد شمس؛ وقيل غير ذلك؛ فسماه رسول الله ﷺ (عبد الرحمن)، اشتهر أبو هريرة بكنيته، حتى غلبت عليه على اسمه فكاد ينسى؛ كان محبا للعلم وحريصا على حفظ السنة والحديث؛ دعا له رسول الله بالحفظ بعد شكوى أبي هريرة له من نسيان العلم؛ قَالَ الْبُخَارِيُّ: «رَوَى عَنْهُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِيَّةِ رَجُلٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ»^(١).

(١) "تهذيب التهذيب": ص ٢٦٥، ج ١٢. و "البداية والنهاية": ص ١٠٣، ج ٨.

عاش طويلا بعد رسول الله ﷺ فأعطي فرصة للتحديث بما عنده من حديث سمعه من رسول الله ﷺ ؛ لذا فهو أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي؛ قيل مات في سنة ٥٩ وقيل سنة ٦٠ من الهجرة.

قال الذهبي : مسنده خمسة آلاف وثلاث وأربعة وسبعون حديثا (٥٣٧٤) المتفق في البخاري ومسلم منها ثلاث وستة وعشرون وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثا ومسلم بثمانية وتسعين حديثا.

قال أحمد شاكر : روى له الامام احمد في مسنده (٣٨٤٨) حديثا من (من رقم ٧١١٩ - الى ١٠٩٩٧) وفيها باللفظ أو المعنى ويصفو له بعد حذف المكرر خير كثير وهو اكثر الصحابة رواية.

[مسند الامام احمد بتحقيق احمد محمد شاكر (١٢ / ٨٣)].

فائدة (٢) : حسن صحبة النبي ﷺ لأصحابه.

قوله : " كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ " وفيه جلوس العالم مع أصحابه وطلابه يعلمهم ويتابع أمورهم وشؤونهم تأسيا بفعل رسول الله ﷺ فقد كان ﷺ يتفقد أصحابه؛

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ كان إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده" وفي الحديث قوله ﷺ: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم"؛ وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنازتنا، ويعزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير

"[أخرجه أحمد (٥٠٤) وحسن الأرنؤوط إسناده]

وفي الحديث قوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"؛ [أخرجه مسلم وغيره من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه].

ومن ذلك سؤاله عن المرأة التي كانت تقم المسجد؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: "أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد، ففقدتها رسول الله - ﷺ - فسأل عنها، فقالوا: ماتت، قال: "أفلا كنتم

أذنتموني؟"، قال: فكأنهم صَغَرُوا أمرها، فقال: "دُلُّوني على قبرها"،
فدَلُّوه فصلَّى عليها؛ [أخرجه البخاري ومسلم]

فائدة (٣): علو رتبة أبي بكر وعمر في أذهان الصحابة.

- وذلك يظهر في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ
فِي نَفْرٍ"، فإنه اكتفى بذكر أشرافهم؛ والنفر الجماعة دون العشرة
والجمع أنفار.

ومن ذلك أيضا في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقْرَةٍ التَفَّتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: لَمْ
أُخْلَقْ لِهَذَا، خُلِقْتُ لِلْحِرَاثَةِ"، قَالَ: "أَمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ،
وَأَخَذَ الذَّنْبُ شَاةً فَتَبِعَهَا الرَّاعِي، فَقَالَ لَهُ الذَّنْبُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ،
يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي"، قَالَ: «أَمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ» قَالَ أَبُو
سَلَمَةَ: وَمَا هُمَا يَوْمَئِذٍ فِي الْقَوْمِ. [متفق عليه]

وفي الصحيحين أيضا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنِّي
لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَا اللَّهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ،

إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي، يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يُجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَنْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يُجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . [متفق عليه]

فائدة (٤): في هذا الحديث من الفقه جواز أن يقوم سيد القوم فلا يتبعه أصحابه، إذا فهموا من قيامه أنه لأمر لا يقتضي المشاركة، ويدل على هذا أنهم جلسوا على انتظار عوده، فلما أبطأ عليهم ببطأ خافوا معه عليه صلى الله عليه وسلم، قاموا يطلبونه^(١).

فائدة (٥): حب الصحابة لرسول الله ﷺ. قوله: "فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، ... " فيه بيان حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول

(١) الافصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (٨ / ١٩٧).

الله ﷺ وإكرامه والشفقة عليه، والانزعاج البالغ لغيبته المجهولة؛
وذلك لأن العدو يحيط بالمدينة من الكفار والمشركين واليهود
والمنافقين؛ وقد ضرب الصحابة في هذا الباب صوراً نسوق منها
للاعتبار :

لما كان يوم أحد وأشيع مقتل النبي ﷺ، حتى كثرت الصواريخ في
ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بخبر موت
بأبيها وابنها وزوجها وأخيها يعني كلهم ماتوا واستشهدوا - رضوان
الله عليهم - ، فكلما مرت على أحدهم قالت : من هذا ؟ قالوا أبوك
.. أخوك .. زوجك .. ابنك .. وهي تقول : ما فعل برسول الله
ﷺ فيقولون : أمامك ! وهي تمضي - تركت الزوج والابن والأخ
والأب - لم تقف، ما زالت تمضي، فلما رأت رسول الله ﷺ، أخذت
بثوبه ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من
عطب.

وفي روايةٍ أخرى لسعد ابن أبي وقاص في قصة هذه المرأة قالت: ما فعل رسول الله؟ قال بخير يا أم فلان - هو بحمد الله كما تحببه - قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبةٍ بعدك جليل، أي هينة .

وهذا خُبَيْب بن عَدِيٍّ لما وقع أسيرا في مكة بعد بدر أخذوه ليقتلوه انتقاما لقتلهم يوم بدرٍ، فَلَمَّا وَضَعُوا فِيهِ السَّلَاحَ وَهُوَ مَاضٍ نَادُوهُ وَنَاشِدُوهُ: أَتُحِبُّ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ الْعَظِيمِ مَا أَحَبُّ أَنْ يُفَدِّيَنِي بِشَوْكَةٍ يُشَاكُهَا فِي قَدَمِهِ. [الطبراني في المعجم الكبير].

وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها، ويقول: يَدُ مَسْتِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وذلك منهم عملا بالنصوص الواردة في ذلك؛ فعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " [أخرجه البخاري ومسلم]

وكذا عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يُحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار" [متفق عليه]

فائدة (٦): حب أبي هريرة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ.

لقوله رضي الله عنه: "وَحَسِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزَعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعْتُ،..." وهذا يدل على شدة حب أبي هريرة لرسول الله وشدة خوفه عليه ﷺ؛ فقد أحب أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله ﷺ حباً ملك عليه نفسه، فكان لا يهدأ له بال ولا تقر له عين حتى يرى رسول الله، فقد أخرج أحمد في المسند عن أبي هريرة أنه أتى النبي ﷺ فقال: إني إذا رأيتك طابت نفسي وقررت عيني، فأنبئني عن كل شيء، قال: «كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْمَاءِ»، قال:

أَنْبِئْنِي بِأَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ : « أَفْشِ السَّلَامَ وَأَطْعِمِ

الطَّعَامَ وَصِلِ الْأَرْحَامَ وَصَلِّ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَّلَامٍ » (١)

وكان كثيراً عندما يحدث يقول: أوصاني خليلي، أو قال خليلي، أو

سمعت خليلي، وذلك لحبه لرسول الله ﷺ.

فائدة (٧): اهتمام الأتباع بحقوق متبوعهم والاعتناء بتحصيل مصالحه

ودفع المفسد عنه.

ومن ذلك في الصحابة ما فعله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة، قالت: أرق

رسول الله ﷺ، ذات ليلة، فقال: «كَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي

يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قالت وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٧٩٣٢) (١٢٩٥) (١٠٣٩٩) والحاكم (٤/١٦٠) وابن

حبان في صحيحه (٥٠٨) (٢٥٥٩).

: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَخْرُسُكَ.
قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعَتْ غَطِيطَهُ.

قال النووي في شرح مسلم (١٥ / ١٨٣) : فيه جواز الإختِراسِ مِنَ
الْعَدُوِّ وَالْأَخْذِ بِالْحَزْمِ وَتَرْكِ الْإِهْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِحْتِيَاظِ .
انتهى

فائدة (٨): جواز دخول ملك الناس بغير إذنه إذا علم أنهم يرضوا
بذلك.

فإن النبي ﷺ دخل الحائط وتبعه أبو هريرة بغير استئذان؛ وفي ذلك
قال الحنفية: إن البيوت إذا لم يكن لها ساكن، وللمرء فيها منفعة، يجوز
له أن يدخلها من غير استئذان؛ كالحانات والرباطات التي تكون
للمارة، والخرابات التي تقضى فيها حاجة البول والغائط؛ لقوله تعالى:
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾
(النور: ٢٩).

فائدة (٩): تأكيد صدق المخبر عن رسول الله بعلامة أو قرينة.

وذلك مستفاد من اعطاء النبي صلى الله عليه وسلم نعليه لأبي هريرة لتكون علامة على لقيه بالنبي ﷺ؛ وتؤكد خبره الذي سينقله عن رسول الله ﷺ؛ لا سيما وفيه بشارة لأصحاب رسول الله ﷺ ولأهل التوحيد.

فائدة (١٠): فيه بيان عقيدة أهل السنة أن التوحيد والشهادتين لا بد لهما من النطق باللسان فلا يكفي اعتقاد القلب حتى يقر اللسان وتعمل الجوارح وذلك مستفاد من قوله ﷺ: «أُذْهِبْ بِنَعْلِيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ».

فيقين القلب لا ينفع صاحبه إلا مع إقرار اللسان مع عمل الجوارح والأركان؛ كما قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤)

قال القرطبي في تفسيره (١٣/ ١٦٣): أَي تَيَقَّنُوا أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ سِحْرًا، وَلَكِنَّهُمْ كَفَرُوا بِهَا وَتَكَبَّرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُوسَى. انتهى
قلت: فلم ينفعهم تيقن القلب لأنهم جحدوا بألستهم ولم تدعن جوارحهم.

فائدة (١١): استحباب التعبير بالكنيات والإشارات فيما يستقبح سماعه؛ إلا فيما فيه مصلحة أو ضرورة ملحة؛ ومن ذلك لفظ "الإست" وأمثال ذلك في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وقوله عز وجل: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧).

وقوله سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ

حَيْثُ أَمَرَكَ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿البقرة﴾
:(٢٢٢).

فائدة (١٢): جواز قول الرجل للآخر: بأبي أنت وأمي، وقد كرهه بعض السلف، وقال: لا يفدى بمسلم، لكن الأحاديث الصحيحة، تدل على جوازه، وخصوصا أن الافتداء غير مقصود حقيقة، وإنما المقصود التعبير عن الحب والبر والحنان. [فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١/١٢٢) للدكتور موسى شاهين]

فائدة (١٣): فعل عمر رضي الله عنه مع أبي هريرة رضي الله عنه ليس تكذيبا لخبره وإنما لحرصه على العمل وعدم الاتكال على بشارة رسول الله ﷺ.

فائدة (١٤): ومن ذلك أيضا تحري عمر رضي الله عنه وتثبته فيما ينسب لرسول الله ﷺ؛ وقد فعل ذلك مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في حديث الاستئذان؛ ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، قال: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ، إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى

كَأَنَّهُ مَدْعُورٌ، فَقَالَ: اسْتَأذِنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ،
فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ: اسْتَأذِنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، وَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَأذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ»
فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَقِيمَنَّ عَلَيْهِ بَيْتِي، أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ
أَبِي بَنْ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ
فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ. [متفق عليه]

وفي رواية ابن حبان في صحيحه (٥٨٠٦) وصحح إسناده شعيب
الأرناؤوط: "فَقَامَ مَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، فَشَهِدَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنَّا لَا
نَتَّهِمُكَ، وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَدِيدٌ".

فائدة (١٥): فيه بيان فضل التزود بالأعمال المفروضة والمستحبة؛
وبيان منزلة العمل الصالح من الإيمان؛ فالإيمان يزيد بالعمل الصالح
وينقص بالمعصية؛ والتفاضل في الجنة بالأعمال؛ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ
الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢) وفي الحديث
عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)

قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ
بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،
سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ» [صحيح مسلم (٢٠٥)]

فائدة (١٦): فيه بيان فضل المشورة ؛ وأن الشورى مبدأ إسلامي
يسعى لتحقيق مصالح المسلمين في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿فَبِمَا
رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وقال سبحانه:
﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشورى : ٣٨).

فائدة (١٧): عرض الأتباع الرأي والمشورة بغير طلب من الإمام؛
كما فعل عمر رضي الله عنه في الحديث؛ ومن ذلك أيضا القصة
المشهورة في أحداث غزوة بدر؛ فقد روي أن الحباب ابن المنذر بن

الْجُمُوحِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمُنْزِلَ، أَمَنْزِلٌ أَنْزَلَكَ اللَّهُ
لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ وَلَا نَتَأَخَّرَهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟
قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا
لَيْسَ لَكَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ فَنَنْزِلُهُ،
ثُمَّ نَعُورُ مَا سِوَاهُ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَتَمْلَأُوهُ مَاءً، ثُمَّ
نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ أَشْرَتْ
بِالرَّأْيِ... الْحَدِيثُ. [تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٠)]

فائدة (١٨): الرجوع عن الرأي وتقديم ما فيه مصلحة؛ وفي الحديث
عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى
غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيَكْفُرْ عَنْ يَمِينِهِ» [مسلم (١٦٥٠)]
فائدة (١٩): جواز كتمان العلم للمصلحة.

في الحديث دليل على جواز كتمان العلم أحيانا لما في ذلك من مصلحة
للعباد؛ ويدل لذلك أيضا حديث قتادة، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ،
أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»

قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ
وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «مَا
مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَى النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: «إِذَا
يَتَكَلَّمُوا»، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِيًا . [متفق عليه]

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ وَعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشْتُهُ قُطِعَ هَذَا
الْبَلْعُومُ "

قال الحافظ في فتح الباري (١ / ٢١٧) في شرح الباب : " الْأَحَادِيثُ
الْمَكْتُوبَةُ لَوْ كَانَتْ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَا وَسِعَهُ كِتْمَانُهَا لِمَا ذَكَرَهُ فِي
الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مِنَ الْآيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَمِّ مَنْ كَتَمَ الْعِلْمَ؛ وَقَالَ غَيْرُهُ
يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مَعَ الصَّنْفِ الْمَذْكُورِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ
وَتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَالْمَلَا حِمِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيُنْكَرُ ذَلِكَ مَنْ لَمْ يَأْلَفْهُ
وَيَعْتَرِضُ عَلَيْهِ مَنْ لَا شُعُورَ لَهُ بِهِ " انتهى

فائدة (٢٠): استدل به بعضهم على وقوع النسخ قبل الفعل، ورد بأن

الأمر هنا قد بلغ ولو لواحد.

فقد مُنِعَ أبو هريرة من التبشير بقول رسول الله ﷺ رجوعاً من رسول الله ﷺ لرأي عمر رضي الله عنه؛ وفي مسألة جواز النَّسخ قَبْلَ الْفِعْلِ "قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ وَغَيْرُهُ: أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَخَ الْخُمْسِينَ بِالْخُمْسِ قَبْلَ أَنْ تُصَلَّى، ثُمَّ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ أَكْمَلَ لَهُمُ الثَّوَابَ. وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ الْمُنِيرِ فَقَالَ: هَذَا ذَكَرَهُ طَوَائِفٌ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ وَالشُّرَاحِ، وَهُوَ مُشْكِلٌ عَلَى مَنْ أَثْبَتَ النَّسخَ قَبْلَ الْفِعْلِ كَالْأَشَاعِرَةِ أَوْ مَنْعَهُ كَالْمُعْتَزِلَةِ، لِكُونِهِمْ اتَّفَقُوا جَمِيعًا عَلَى أَنَّ النَّسخَ لَا يَتَصَوَّرُ قَبْلَ الْبَلَاغِ، وَحَدِيثَ الْإِسْرَاءِ وَقَعَ فِيهِ النَّسخُ قَبْلَ الْبَلَاغِ، فَهُوَ مُشْكِلٌ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا. قَالَ: وَهَذِهِ نُكْتَةٌ مُبْتَكِرَةٌ. قُلْتُ: إِنْ أَرَادَ قَبْلَ الْبَلَاغِ لِكُلِّ أَحَدٍ فَمَمْنُوعٌ، وَإِنْ أَرَادَ قَبْلَ الْبَلَاغِ إِلَى الْأُمَّةِ فَمُسَلَّمٌ، لَكِنْ قَدْ يُقَالُ: لَيْسَ هُوَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِمْ نَسْخًا، لَكِنْ هُوَ نَسْخٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهُ كَلَّفَ بِذَلِكَ قَطْعًا ثُمَّ نَسَخَ بَعْدَ أَنْ بُلِّغَهُ وَقَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ،

فَالْمُسْأَلَةُ صَحِيحَةُ التَّصْوِيرِ فِي حَقِّهِ ﷺ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [فتح الباري (١)
(٦١١) الكتب العلمية].

فائدة (٢١): فيه منقبة ظاهرة لعمر بن الخطاب، وفضيلة لأبي هريرة رضي الله عنهما.

فقد وجه أبو عوانة الاسفراييني صاحب "المستخرج على صحيح مسلم" الحديث لمناقب عمر بن الخطاب؛ وأن عمر رضي الله عنه هو صاحب البشارة بالجنة؛ فقال أبو عوانة:

يُقَالُ: إن هذا لأصحاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الموقنين، ولم يَعُمَّ بِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ: مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ، فلم يلق إلا عُمَرَ، وعمرٌ قد بَشَّرَهُ النبي ﷺ بالجنة. [مستخرج أبي عوانة (١/ ١٧٧) ط الجامعة الإسلامية].

فائدة (٢٢): وثوق النبي ﷺ في أبي هريرة واثمته على العلم؛ وفيه رد على الطاعنين في أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد أبو هريرة رضي الله عنه طالب علم حريص عليه؛ روى البخاري بإسناده عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْمُقْبِرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ

قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»

قال ابن حجر في الفتح: وَفِيهِ فَضْلٌ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفَضْلُ الْحِرْصِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ. [فتح الباري (١/٩٩)]

فائدة (٢٣): بيان فضل التوحيد.

وذلك لقوله ﷺ «أَذْهَبَ بِنِعْلِي هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيَتْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ»

فإن التوحيد سبب للفوز بالجنة؛ والنجاة من النار؛ قال الله تعالى:

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام :
١٦٢-١٦٣).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى
عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ،
وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» [متفق عليه]

وفي الصحيحين من حديث مُحَمَّدَ بْنَ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ
مَالِكٍ - وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ...
الحديث؛ وفيه قول النبي ﷺ: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ . "

ولمسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ».

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ". [أبو داود وأحمد وصححه الألباني]

كما أن التوحيد سبب لرجحان الحسنات وتثقيل الميزان؛ والنجاة من العذاب؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُدْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَزَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ"، قَالَ:

«تُوضَعُ السَّجَّلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَّلَاتُ
وَتَقُلَّتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(١).

قال ابن القيم في "مدارج السالكين" (١/٣٤٠): فَإِنَّ الْأَعْمَالَ لَا
تَتَفَاضَلُ بِصُورِهَا وَعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ،
فَتَكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَهُمَا فِي التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ، وَالرَّجُلَانِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا
كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

وَتَأَمَّلْ حَدِيثَ الْبِطَاقَةِ الَّتِي تُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، وَيُقَابِلُهَا تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ
سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِنْهَا مَدُّ الْبَصْرِ، فَتَثْقُلُ الْبِطَاقَةُ وَتَطْيِشُ السَّجَّلَاتُ،
فَلَا يُعَذَّبُ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه وابن ماجه (٤٣٠٠) والحاكم (رقم ٩)
وأحمد (٦٩٩٤) وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَمْ يُخْرَجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهُوَ
صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ". ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مُوَحِّدٍ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الْبِطَاقَةِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَدْخُلُ النَّارَ
بِذُنُوبِهِ، وَلَكِنَّ السِّرَّ الَّذِي ثَقَلَ بِطَاقَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَطَاشَتْ لِأَجْلِهِ
السَّجَلَاتُ لَمَّا لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ مِنْ أَرْبَابِ الْبِطَاقَاتِ، انْفَرَدَتْ بِطَاقَتِهِ
بِالثَّقَلِ وَالرَّزَانَةِ. انتهى

وَقِيلَ لِيُوْهَبِ بْنِ مُنْبِّهٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ قَالَ: بَلَى
وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ
وَأِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ . [أخرجه البخاري تعليقا]

وأقول أن كلمة التوحيد التي لا تثقل معها الذنوب هي التي لا
يشوبها شرك بأنواعه، ومما يستدل به على فضل التوحيد الخالص
وضرورة نفي الشرك ما أخرجه مسلم وأبو داود عن ابن عباس أن
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ
أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ"
فهؤلاء شفعوا لأنهم لا يشركون بالله شيئا.

ومما ورد في فضل التوحيد كذلك حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً:
" خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ " (١).

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " أَفْضَلُ
الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ " (٢).

وأخرج البخاري في "خلق أفعال العباد" ص ٩٥ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِذَا
تَأْتَيْنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا جَعَلْتُ قُرَابَهَا
مَغْفِرَةً وَلَا أُبَالِي».

وفي لفظ عند مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ،

(١) أخرجه الترمذي وأحمد وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٠٤).

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا
تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي
يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا
لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً " [صحيح مسلم (٢٦٨٧)]

وللترمذي وحسنه عن أنس بن مالك، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي
وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ
ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ
إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا
لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً " [الترمذي (٣٥٤٠) وصححه الألباني]

والله من وراء القصد

عون النعم بشرح حديث "المسلم أخو المسلم"

أبو عاصم البركاني المصري

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ لَا يَظلمُهُ وَلَا يُسلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُسلِمٍ كُربَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنهُ كُربَةً مِن كُربَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"

تخریج الحديث:

أخرجه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

معاني المفردات

- (١) يسلمه : أي يخذله ويترك نصرته وهو قادر على نصرته.
- (٢) حاجة: إعانة ومنفعة.
- (٣) فَرَّجَ: أزال ودفع وردَّ.
- (٤) كربة : مصيبة وضيق وشدة عظيمة .
- (٥) ستر: أخفى.

فوائد الحديث

الفائدة الأولى : التأكيد على روابط الإخوة الإيمانية؛ وأواصر الحب في الله؛ تلك الإخوة التي قد تكون أقوى من إخوة النسب؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وحديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا " ، وشبك بين أصابعه. [متفق عليه].

وعن النعمان بن بشير - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " [متفق عليه].

الفائدة الثانية: بيان احتياج المسلمين إلى الائتلاف والاعتصام والتآخي.

فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه؛ يرى بأعينهم ويتقوى بقوتهم ويستنير ببصيرتهم؛ ولذا طلب موسى عليه السلام من ربه أن يعينه بأخيه

هارون عليه السلام؛ ففي الآية الكريمة: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه: ٢٩-٣٢).

وقوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)

ولأجل هذا آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار؛ وأصلح ما كان بين الأوس والخزرج من رواسب الجاهلية؛ وذلك لضمان سلامة المجتمع من الداخل.

الفائدة الثالثة: قوله ﷺ " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ " أسلوب خبري يدل على الطلب إما على سبيل الإيجاب أو النذب والاستحباب؛ ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقوله سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

وقد أمر رسول الله ﷺ بالتأخي ومجانبة ما يخالف الإخوة؛ ففي
الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا
تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ
عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا
يُظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا، وَيَشِيرُ إِلَىٰ
صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ
الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ [٢٥٦٤]
وأخرج أبو داود والطبراني وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ
عنهُ ضيعتهُ ويحوطه من ورائه".

الفائدة الرابعة: قوله ﷺ: " لا يظلمه " فيه النهي عن الظلم؛
فالظلم محرم بالكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانَ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿النحل: ٩٠﴾.

وأخرج مسلم عن أبي ذرٍّ جندب بن جنادة رضي الله عنه، عن النبي
ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي، إني
حرّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّمًا، فلا تظالموا" الحديث.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا
يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾، (إبراهيم: ٤٢)، ويقول
الرسول ﷺ: ﴿وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ
السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ﴾.

[أخرجه الترمذي (٣٥٩٨) وحسنه]

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: "اتَّقِ دَعْوَةَ
الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ".

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي -ﷺ- قال: " مَنْ
كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم
قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه
بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ
عليه ".

ويسأل -ﷺ- أصحابه فيقول: " أَتَدْرُونَ مَا الْمُقْلِسُ؟ " قَالُوا: الْمُقْلِسُ
فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: " إِنَّ الْمُقْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ
مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،
وهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ
خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " [مسلم (٢٥٨١)]

الفائدة الخامسة: الإشارة إلى نصره المظلومين والضعفاء؛ لقوله
ﷺ: " ولا يسلمه " أي لا يترك نصرته مع القدرة؛ يقال: أسلم فلان

فلانا إذا ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه أو من مصيبة نزلت به؛ أو من تسلط ظالم عليه؛ ولمسلم في صحيحه في حديث أبي هريرة " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ " وخذلان المسلم للمسلم ترك النصرة له وعدم إعانته على ظالمه.

وفي الحديث عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" [أخرجه البخاري].

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع؛ فذكر عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإبرار المقسم" [أخرجه البخاري ومسلم]

وفي سنن أبي داود عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: " من حمى مؤمناً من منافق، أراه قال: بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه به، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال "

الفائدة السادسة: الجزء من جنس العمل؛ ويستفاد ذلك من قوله

عليه الصلاة والسلام " من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته " والمعنى من عاون أخاه وساعده وبذل له المعروف بهاله أو بجاهه أو بشفاعته؛ وما شابه، ويوضحه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " [مسلم (٢٦٩٩)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله " أي الناس أحب إليك؟ فقال رسول الله ﷺ، أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله

على مسلمٍ أو تكشِف عنه كُرْبَةً، أو تقضي عنه أو تطرُد عنه جُوعاً،
ولأنَّ أمشيَّ مع أخٍ لي في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن اعتكف في هذا
المسجدِ شهراً في مسجدِ المدينة، ومن كفَّ غضبه سترَ اللهُ عورتهُ،
ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أن يمضيه أمضاه ملاً اللهُ قلبه
رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يثبتها ثبتَّ اللهُ
قدميه يوم تزلُّ الأقدامُ. [صحيح الترغيب للألباني (٢٦٢٣)]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِنَ النَّاسِ
مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ
مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ،
وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ" وهذا الحديث [رواه

ابن ماجه (١٩٥)، "السلسلة الصحيحة" (١٣٣٢)]

وقد روى الترمذي (٢٢٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟ قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ " قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح.

من روائع الأمثلة والفدوات

كان رسول الله ﷺ يسعى في قضاء الحاجات وتنفيس الكربات ولذا قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: "كلاً والله ما يُجزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق". [رواه البخاري].

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يجلب للحي أغنامهم، فلما استخلف قالت جارية منهم: الآن لا يجلبها، فقال أبو بكر: بلى وإني

لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد بعض الأرامل فيسقيهن الماء بالليل، ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة، فدخل إليها طلحة نهاراً فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت: هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، عثرات عمر تتبع؟. [انتهى السؤال

على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (٣/٣١٨)]

الفائدة السابعة : فضل تفريج الكربات؛ وذلك مستفاد من قوله

ﷺ: " **وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبَاتِ يَوْمِ**

القيامة " والكربات أي الضيقات والشدائد والهموم؛ من فقر أو دين

أو غرم أو دية أو حبس وما شابه ذلك؛ وفي صحيح البخاري

ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: " كان رجلٌ يُدّين النَّاسَ، فكان يقول

لِفَتَاهُ، إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، قَالَ، فَلَقِيَّ
اللَّهُ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ".

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنْ
كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْفَسْ عَن مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ".

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ نَفَسَ عَنِ
مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ
مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي
عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا
إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ،

وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"؛ رواه مسلم بهذا اللفظ.

الفائدة الثامنة: الإشارة إلى شدائد يوم القيامة؛ والأخذ بأسباب النجاة.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ .
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾
(الحج : ٢٠١)

وقال سبحانه : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ
وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف)

وأخرج مسلم وغيره من حديث المقداد بن الأسود، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ" - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: "فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا" قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

الفائدة التاسعة: فضل الستر على الناس سيما أهل الصلاح؛ عملا

بقوله ﷺ: "وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وعن ابن عمر قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ

المُسلِمِ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ

رَحْلِهِ " [أخرجه الترمذي]

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: " مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَ بِهَا فِي بَيْتِهِ ".

وقال ﷺ: " من غسل ميتا فستره، ستره الله من الذنوب، ومن كفن

مسلمًا، كساه الله من السندس " [السلسلة الصحيحة للألباني (٢٣٥٣)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَقِيلُوا ذَوِي

الْهِئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْخُدُودَ " [أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٤٦٨)]

وأبوداود (٤٣٧٥) واللفظ له].

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي *** وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ

فَإِنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِّنَ *** التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ

وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي *** فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ

وجوب ستر المسلم على نفسه

قال ﷺ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَانِي إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ " متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: " اجتنبوا هذه القاذورة، فَمَنْ أُمَّ فَلَيْسَتْ بَسْتَرِ اللَّهِ وَلَيْتَبَ إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنْ مَن يُبَدِّ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمَ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ "

[السلسلة الصحيحة للألباني (٦٦٣)]

والمجاهرة بالذنب يؤدي إلى التهاون به وفيه من إشاعة الفاحشة في الدين آمنوا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾
(النور: ١٩)

قال فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله تعالى:

"يجوز الستر على المسلم إذا لم يكن من أهل التهاون بالمعاصي ، ولم يعرف عنه كثرة اقتراف الذنوب وارتكاب المحرمات ، ففي هذه الحالة ينصحه ويخوفه ويحذره من العودة إليها . أما إن كان صاحب عادة وفسوق فلا تبرأ ذمته حتى يرفع أمره إلى من يعاقبه بما ينزجر به . أما إن كانت المعصية في حق لأدمي كأن يراه يسرق من بيت أو دكان أو رآه يزني بامرأة فلان فلا يجوز الستر عليه ، لما فيه من إهدار حق الأدمي ، وإفساد فراشه ، وخيانة المسلم . وكذا لو علم أنه القاتل أو الجارح لمسلم فلا يستر ويضيع حق مسلم ، بل يشهد عليه عند الجهات بأخذ الحقوق ، والله تعالى أعلم" انتهى من [فتاوى علماء البلد

الحرام: ص ٣٤٤]

الفائدة العاشرة: ستر الله لعبده المؤمن في يوم القيامة؛ فالجزاء من

جنس العمل لقوله ﷺ " **ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة** "؛

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ،**

فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ،

حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي

الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ

وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ

اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] "

انتهى والله وحده من وراء القصد

الشرح الموضوعي لحديث : " لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا .. "

أبو عاصم البركاني الأثري

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا " وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ " .

تخريج الحديث

أخرجه مسلم (٢٥٦٤) واللفظ له؛ والترمذي (١٩٢٧) وأحمد في "المسند" (٧٧٢٧) (٨١٠٣) وابن ماجه (٤٢١٣) وغيرهم.

وأخرج البخاري (٦٠٦٤) بسنده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا".

معاني المفردات

تحاسدوا: الحسد تمنى زوال النعمة عن أنعم الله عليه بها.

تناجشوا: النجش: فعل محرم في البيوع؛ وهو أن يزيد في ثمن السلعة مَنْ لا يريد شراءها؛ وقيل: أن يمدح السلعة لينفقا ويروجها؛ وإنما يفعل ذلك ليغير غيره بالشراء؛ فينتفع البائع.

تباغضوا: التباغض أي مباشرة أسباب الكره والمقت.

تدابروا: أن يُولي كل واحد منهم صاحبه دُبْرَه، إما بالأبدان أو بالأقوال.

يخذله: الخذل ترك الإعانة والنصرة.

يحقره: يستصغره ويهينه ويذله.

فوائد الحديث

الفائدة الأولى: النهي عن الحسد المحرم وهو مستفاد من قوله ﷺ

: " لَا تَحَاسَدُوا " وهو الحسد المذموم المنهي عنه بنصوص الكتاب

والسنة؛ وهو تمنى زوال نعمة الله عن أنعم عليه بها؛ وقد يسعى في

تحقيق ذلك بالقول أو بالعمل ، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا

تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ

إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرَّجَالِ

نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

قال القرطبي في تفسير هذه الآية (٥ / ٢٥١): وَالْحَسَدُ مَذْمُومٌ
وَصَاحِبُهُ مَغْمُومٌ ... وَقَالَ الْحَسَنُ: مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنْ
حَاسِدٍ، نَفْسٌ دَائِمٌ، وَحُزْنٌ لَازِمٌ، وَعَبْرَةٌ لَا تَنْفَدُ وَلِنُصُورِ الْفَقِيهِ:
أَلَا قُلْ لِمَنْ ظَلَّ لِي حَاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاتَ الْأَدَبُ
أَسَاتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
وَيُقَالُ: الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عَصِيَ بِهِ
فِي الْأَرْضِ، فَأَمَّا فِي السَّمَاءِ فَحَسَدُ إِبْلِيسَ لِأَدَمَ، وَأَمَّا فِي الْأَرْضِ فَحَسَدُ
قَابِيلَ لِهَابِيلَ. انتهى

وقال الزجاج: قيل: لا ينبغي أن يتمنى الرجل مال غيره ومنزل غيره،
فإن ذلك هو الحسد. انتهى

ولأن الحسد وصف وفعل مذموم لذا كان أهل الجنة مبرأون منه؛ قال
تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾
[الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا
عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقال النبي ﷺ: " أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر،
والذين على أثرهم كآشد كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على
قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض ولا تحاسد "
[البخاري(٣٢٥٤)]

وعليه فالحسد المنهي عنه مذموم محرم؛ بخلاف الحسد المحمود الذي
هو الغبطة المباحة والتنافس في أمور الآخرة فهذا مطلوب؛ لقول
النبي ﷺ: " لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء
الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان
فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال
رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل " [البخاري].

الفائدة الثانية: النهي عن النَّجْش؛ ومفاد النهي التحريم؛
والنَّجْش هو أن يزيد في ثمن السلعة مَنْ لا يريد شراءها؛ وإنما يفعل
ذلك ليخدع غيره فيشتري؛ فينتفع البائع.

وقيل: هو أن يمدح السلعة بالزيف والكذب لينفقها ويروجها؛ وفيه من الغرر المنهي عنه؛ وفيه كذلك من الاحتيال المذموم؛ لأن المشتري قد لا يكون خبيراً بالثمن والمثمن؛ فيتضرر والضرر محرم وكذا الغش والخداع؛ وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النَّاجِشُ: آكِلُ رَبًّا خَائِنٌ وَهُوَ خِدَاعٌ بَاطِلٌ لَا يَجُلُّ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" [أخرجه البخاري معلقاً (٣/ ٦٩)]

وفي الصحيحين كذلك عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْشِ" [متفق عليه]

وأوضح صورة من صور النجش في زماننا المعاصر ما يحدث أحياناً في البيع بالمزاد العلني لبعض السلع؛ فيتفق فيه البائعون مع أحد المزايدين على أن يرفع الثمن على باقي المزايدين حتى يقع البيع بالسعر العالي وتأخذ السلعة أعلى من ثمنها الحقيقي.

ولا شك أن نهي النبي ﷺ عن النَّجْشِ إنما هو لبيان حرمة التعدي على المسلم بالخداع والغرر والغش؛ وفيه من التعظيم لحقوق المسلم على إخوانه المسلمين.

الفائدة الثالثة: النهي عن التباغض في قوله ﷺ: " وَلَا تَبَاغَضُوا

" أي لا تفعلوا أسباب ودواعي وقوع الكراهية بينكم؛ وهذا النهي على وجه العموم؛ وذكر ﷺ أسبابا على وجه الخصوص في هذا الحديث وفي غيره من ذلك التحاسد والتناجش والتهاجر وغير ذلك؛ وفي الصحيحين عن أنسٍ عن النبي ﷺ قَالَ: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " [متفق عليه]

الفائدة الرابعة: النهي عن التدابر في قوله ﷺ: " وَلَا تَدَابَرُوا "

والتدابر أن يولي الرجل ظهره لأخيه إذا رآه؛ والمعنى أي " لا تقاطعوا ولا تهاجروا ولا تعادوا " وفي الفاظ الحديث: " وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا " [مسلم]

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ" [متفق عليه]

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرَضُ هَذَا وَيُعْرَضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ" [متفق عليه]

وأخرج أبو داود وأحمد عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفِكَ دَمِهِ".

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

ولا يحل له أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

ولكن لك أن تهجره لمدة ثلاثة أيام، إذا رأيت في هذا مصلحة، ولك أن تهجره أكثر إذا رأيت على معصية أصر عليها ولم يتب منها، فرأيت أن هجره يحمله على التوبة، ولهذا كان القول الصحيح في الهجر أنهم

رخصوا فيه خلال ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فينظر فيه للمصلحة؛
إن كان فيه خيرٌ فليفعل، وإلا فلا، حتى لو جاهر بالمعصية، فإذا لم
يكن في هجره مصلحة فلا تهجره. [شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٤٠)]

وقال الحافظ ابن عبد البر: أجمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْهَجْرَانُ فَوْقَ ثَلَاثِ
إِلَّا لِمَنْ خَافَ مِنْ مُكَالْمَتِهِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ دِينَهُ أَوْ يُدْخِلُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ
دُنْيَاهُ مَضْرَّةً فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ جَازَ وَرُبَّ هَجْرٍ جَمِيلٍ خَيْرٌ مِنْ مُحَالَطَةٍ
مُؤْذِيَةٍ . [فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٩٦)]

الفائدة الخامسة: النهي عن البيع على بيع الآخرين وذلك في قوله
ﷺ: " وَلَا يَبِعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ " .

قال البدر العيني في شرحه للبخاري : وَهُوَ أَنْ يَقُولَ فِي زَمَنِ الْخِيَارِ:
افسخ بيعك وأنا أبيعك مثله، بأقل منه، ويحرم أيضا الشراء بأن يقول
للبيع: افسخ وأنا أشتري بأكثر منه^(١). انتهى

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١/ ٢٥٧).

ومن جملة الأدلة على النهي والتحريم ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال لا تَلَقُوا الرُّكْبَانَ وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَلَا تُصَرُّوا الْغَنَمَ وَمَنِ ابْتَاعَهَا فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْتَلِبَهَا إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ. [البخاري (٢١٥٠)]

وفي الصحيحين أيضًا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: " لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ " .

الفائدة السادسة: الأمر بالوفاء بحقوق الإخوة الإيمانية في قوله

ﷺ: " وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا " قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال الله تعالى: ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ

اللَّهُ ﷺ يَقُولُ: " حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ ".
وأخرج مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ " قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: " إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَأَنْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ ".

الفائدة السابعة: قوله: "المسلم أخو المسلم" تكرر للحث والتأكيد على الأخوة بين المسلمين التي بها يقوى بنيان المجتمع المسلم ويعلو؛ فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه؛ وما أحسن الأخوة في الله والحب في الله؛ أخرج البخاري ومسلم في "صحيحهما" عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".

وفي الصحيحين كذلك عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... " وذكر منهم: رجلين تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".

وأخرج أحمد والترمذي، عن معاذ، عن النبي ﷺ، قال: "قال الله: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغطهم النيون والشهداء".

ولمسلم من حديث أبي هريرة، أن الملك قال للذي زار أخاه: "إني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه".

وعن علي: "أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه: من ضيع من ظفر به منهم".

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَذْكُرُ الْأَخَ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ:
يَا طُوهَا مِنْ لَيْلَةٍ! فَإِذَا صَلَّى الْمَكْتُوبَةَ غَدًا إِلَيْهِ فَاعْتَنَقَهُ. [أخرجه ابن أبي الدنيا في

الإخوان رقم ٨٣]

وَوَخَّرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَنْتُمْ جَلَاءُ حُزْنِي.

[أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان رقم ٨٤]

وَرَوَى عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغَوِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ
بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: إِذَا مَاتَ أَصْدِقَاءُ الرَّجُلِ ذَلَّ.

وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ: قَالَ لِي أَيُّوبُ: إِنَّهُ لِيْبَلِغُنِي مَوْتَ الرَّجُلِ مِنْ
إِخْوَانِي فَكَأَنَّمَا سَقَطَ عَضْوٌ مِنْ أَعْضَائِي.

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

يَمْضِي أَخْوَاكَ فَلَا تَلْقَى لَهُ خَلْفًا ... وَالْمَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَالِ مَكْتَسَبٌ

وَقَالَ آخَرُ:

لِكُلِّ شَيْءٍ عَدْمَتُهُ عَوْضٌ ... وَمَا لِفَقْدِ الصَّدِيقِ مِنْ عَوْضٍ

الفائدة الثامنة: النهي عن كل ما يفسد الإخوة؛ وذلك

مستفاد من نهى النبي ﷺ عن بعض ذلك؛ وليعلم القاصي والداني أن

الشیطان لا یترصّد إلا المتحابین والمتأخین لفسد بینهم؛ أخرج مسلم عن جابر، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ".
وأخرج الإمام أحمد في "مسنده" عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده؛ ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما".

وقد أخرج البخاري عن عائشة . معلقاً . ، ومسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "الأزواجُ جنودٌ مجنّدةٌ فما تعرّفَ منها اتّكفَ، وما تناكرَ منها اختلَفَ".

الفائدة التاسعة : النهي عن الظلم.

الظلم لغةً: وضع الشيء في غير موضعه، وهو مجاوزة الحدّ والجور.
ويعرف أيضاً بأنّه التعدي عن الحق إلى الباطل، والتصرف في ملك الآخرين.

قال سبحانه : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وقال الله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

وفي الحديث القدسي : " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا " [أخرجه مسلم عن أبي ذر الغفاري].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " اتَّقُوا الظلم؛ فَإِنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتَّقُوا الشح؛ فَإِنَّ الشحَّ أهلك من كان

قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم" [أخرجه مسلم].

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وأخرج الحاكم عن أنسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "بَابَانِ مُعْجَلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ، وَالْعُقُوقُ" (١)

وقال النبي ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيتَ إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه، أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" [أخرجه البخاري].

(١) وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ وَصَحَّحَهُ الذَّهَبِيُّ.

الفائدة العاشرة: النهي عن خذلان المسلم

وذلك عملاً بقول النبي ﷺ في الحديث: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ؛ فَاَلْمُسْلِمُ يُوَالِي الْمُسْلِمَ فِي الْحَقِّ وَيَنْصُرُهُ وَيُؤَاوِرُهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]

وقوله ﷺ: " انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" [أخرجه البخاري].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِدِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ" [أحمد وأبو داود]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى
مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى" [متفق عليه]
وفي الصحيحين قال ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"
وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً:
"أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل
سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو
تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي
من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله
عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه
رضاً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى

يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق
ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل " (١).

وعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله
عنهم ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ أَمْرٍ يُخْذَلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي
مَوْضِعٍ تُتَهَكُّ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي
مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ. وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ
فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ، وَيُتَهَكُّ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ
نُصْرَتَهُ " (٢).

وفي الحديث كذلك مرفوعاً : " أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في
قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة،
فجلد جلدة واحدة، فامتلاً قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه قال : علام

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" عن ابن عمر. وانظر السلسلة
الصحيحة للألباني ٩٠٦.

(٢) أحمد وأبو داود وصححه الألباني في (صحيح الجامع : ٥٦٩٠).

جلدتموني؟ قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم

فلم تنصره" [السلسلة الصحيحة للألباني ٢٧٧٤]

الفائدة الحادية عشر: النهي عن احتقار المسلم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

قال ابن كثير في تفسيره: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم".

قال تعالى مبينا عاقبة المستهزئين المحتقرين للمؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾

[المطففين: ٢٩-٣٤]

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

والهُمَزَةُ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزمهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعييبهم بقوله. وروى أبو داود في "سننه" (٤٨٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ للنبيِّ ﷺ: حسبك من صفة كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال: "لقد قلتُ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته".

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المعرور بن سويد قال: لقيتُ أبا ذر بالربذة وعليه حلّة وعلى غلامه حلّة، فسألته عن ذلك، فقال: إنني سابتُ رجلاً فعيرته بأمّه، فقال لي النبيُّ ﷺ: "يا أبا ذر، أعيّرتَه بأمّه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل، وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا يدخُلُ الجنّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ" فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ

يَكُونُ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ،
الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ". [رواه مسلم].

الفائدة الثانية عشر: التقوي وفرضيتها وموضعها من

القلب؛ لقوله: "التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وفي

رواية لمسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ. وَلَكِنْ

يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. [مسلم: ٢٥٦٤]

ومعنى التقوى موضح فيما قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز -

رضي الله عنه -: "التقوى ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله" (١).

وقال الراغب الأصفهاني: "التقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف،

هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفاً حسب

تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه، وصار التقوى في

تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور"

[المفردات "٥٣٠].

(١) المطلع على أبواب المقنع: ص ٩٩ .

وقال طلق بن حبيب: "التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تجتنب معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله" (١).

وقيل: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل".

الفائدة الثالثة عشر: تحقيق التقوى بالقلب واللسان والجوارح.

في رواية لمسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. [مسلم: ٢٥٦٤]

وفي الحديث الذي رواه عدي بن حاتم، قال: قال سمعت رسول الله - ﷺ -، يقول: "اتقوا النار ولو بشقِّ تمرّة" [البخاري: ١٤١٧، مسلم: ١٠١٦].

(١) "كتاب الزهد" لعبد الله بن المبارك (ص ٤٧٣)، فقرة (١٣٤٣)؛ وجامع العلوم والحكم: (ص ١٤٩).

وقال تعالى : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. والمعنى أن سائر الأعمال ينبغي أن يظهر أثرها على القلب؛ وأن الأعمال الظاهرة وحدها لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته في السر والعلانية وفي القول والعمل.

الفائدة الرابعة عشر: أهمية القلب وعلو رتبته من الجسد.

لأن القلب آلة التبصر والتدبر والاتعاظ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]

وأخرج البخاري ومسلم عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ

مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ،
أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ .

الفائدة الخامسة عشر: وجوب سلامة الصدر.

ومن المعاني اللطيفة التي ينبغي الإشارة إليها أهمية سلامة الصدر تجاه
المسلمين؛ فلا حقد ولا حسد ولا ضغينة لأي مسلم؛ قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ﴾.

وأخرج ابن ماجه وصححه الألباني عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنها قال: قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال: "كُلُّ مَخْمُومٍ
القلب صدوق اللسان"، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم
القلب؟ قال: " هو التقيُّ، النقيُّ، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا
حسد".

وأخرج الترمذي وحسنه الألباني عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفسوا السلام بينكم ".

وفي حديث أبي هريره عند البخاري في صحيحه: " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا... الحديث ".

فسوء الظن بالمؤمنين لا يجوز؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

قال ابن القيم: " سوء الظن هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على اللسان والجوارح " [كتاب الروح ص ٢٣٨]

وقد أخرج النسائي في " السنن الكبرى " وأحمد عن أنس بن مالك، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ حَيْثُهُ مَاءٌ مِنْ
 وَضُوئِهِ مُعَلَّقٌ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ: "يَطْلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى
 مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَطْلَعُ
 عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ
 الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اتَّبَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِي
 فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِيتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ
 رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحِلَّ يَمِينِي فَعَلْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسُ:
 فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِي يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَ
 لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ
 اللَّهَ، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَيُسَبِّحُ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ
 أَنِّي لَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ كِدْتُ أَحْتَقِرُ
 عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا
 هِجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي

ثَلَاثَ مَجَالِسَ: "يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَطَلَعَتْ أَنْتَ
تِلْكَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ أَوْيَ إِلَيْكَ فَأَنْظِرْ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ
كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا
رَأَيْتَ، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ
غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى
خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ،
وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ .

التكرار في الحديث النبوي الشريف

الفائدة السادسة عشر: التأكيد على المعنى بالتكرار وهو مستفاد

من قوله: "التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

والتكرار في الحديث النبوي يأتي للتأكيد أو للتوضيح والبيان وشحذ
الأذهان وجذب الأسماع؛ أو لتبليغ النذارة إلى أبعد مكان وإلى أكثر
الناس لتقوم الحجة؛ وقد أخرج البخاري عن أنسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ
كَانَ " إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا".

ومن شواهد ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو، قال: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا - وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ - وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: ﴿وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ﴾ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

وأيضاً أخرج البخاري عن أنس بن مالك، قال: صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَقِيَ الْمِنْبَرَ، فَأَشَارَ بِيَدَيْهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ الْآنَ مِنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ الصَّلَاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الْجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" ثَلَاثًا.

وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟" ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ"، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

دلالات الإشارة باليد في الحديث النبوي

الفائدة السابعة عشر: أهمية الإشارة للتأكيد والتحقيق وكذا

للتوضيح والتعليم أو للفتيا وإجابة السائل وكذا للفت الانتباه؛ كما

في الحديث " وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " .

وفي هذا المعنى أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَمَرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ

بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ وَلَا نَكَفَتِ الشِّيَابَ

وَالشَّعْرَ" .

وأخرج كذلك البخاري عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ

الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: "فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي،

يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ" وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا.

وجملة "وأشار بيده" للشرح والبيان.

وكذلك حديث: "إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ"

وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ. [أخرجه البخاري]

وفي الحديث عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: "أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا يُشِيرُ إِلَى
الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" [أخرجه البخاري]
والإشارة باليد تُسَمَّى قولاً، تقول العربُ: قل لي برأسك، أي: أمله.
قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٣٧٥/١):
الإشارة باليد والعمل قد تسمى قولاً، فقول العرب: قل لي برأسك
أي: أمله.

وقال في موضع آخر في شرح صحيح البخاري (١٠٦/٢):
الإشارة باليد تقوم مقام الإفصاح باللسان إذا فهم المراد بها.
وفي حديث ميمونة رضي الله عنها في صفة غسل النبي ﷺ: ثُمَّ
قَالَ بِيَدِهِ الْأَرْضَ فَمَسَحَهَا بِالتُّرَابِ، ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ تَمَضَّمَصَّ
وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ، وَأَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ
قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أَتَى بِمَنْدِيلٍ فَلَمْ يَنْفُضْ بِهَا.

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه (١ / ٢٨) فقال: بَابُ مَنْ

أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ أَوْ الرَّأْسِ

وذكر تحت الباب :

حديث ابن عباسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ

أَرْمِي؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: "وَلَا حَرْجَ" قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أذْبَحَ؟

فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: "وَلَا حَرْجَ".

وحديث أبي هريرةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرُ الْجَهْلُ

وَالْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ"، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: "هَكَذَا

بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ".

وحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ

تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ،

فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ.

وأخرج البخاري ومسلم عن أنسٍ، قَالَ: لَمْ يُخْرَجْ إِلَيْنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ

ثَلَاثًا، فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَقَدَّمُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ

بِالْحِجَابِ فَرَفَعَهُ، فَلَمَّا وَضَحَ لَنَا وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، مَا نَظَرْنَا مَنْظَرًا قَطُّ
كَانَ أَعْجَبَ إِلَيْنَا مِنْ وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ وَضَحَ لَنَا، قَالَ: فَأَوْمَأَ نَبِيُّ
اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَأَرْخَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْحِجَابَ، فَلَمْ
نَقْدِرْ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ.

وفيه أن الإشارة باليد تقوم مقام الأمر في مثل هذا الموضع.

الفائدة الثامنة عشر: اعادة التأكيد على حرمة احتقار المسلم
وازدراءه وإهانته.

وذلك في قوله: "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" وذا
للتغليظ والتشنيع والزرجر فالأسلوب خبري يدل على النهي والزرجر
والتحريم.

الفائدة التاسعة عشر: التأكيد على حرمة المسلم على وجه العموم
ودلالة لفظ "كل" على العموم.

وذلك مستفاد من قوله : "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ" ؛ ولفظ "كل" يدل على العموم، والعموم عبارة عن شمول أمر واحد لمتعدد؛ فيحرم إيذاء المسلم في نفسه ودمه أو ماله أو عرضه وكل شيء.

الفائدة العشرون: تخصيص ذكر الدم لبيان عظم سفك دم المسلم بغير حق.

وذلك في قوله " دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ " ؛ قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾

[النساء: ٩١-٩٢]

وفي الصحيحين عن أبي بكرَةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "
 إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ
 اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو
 الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ شَهْرٌ مُضَرٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ"، ثُمَّ
 قَالَ: "أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى
 ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟" قُلْنَا: بَلَى، قَالَ:
 "فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ
 سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟"، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: "فَأَيُّ يَوْمٍ
 هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ
 بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟" قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "
 فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ -
 حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا،
 وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا - أَوْ
 ضَلَالًا - يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، إِلَّا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ،

فَلَعَلَّ بَعْضٌ مَّنْ يُبَلِّغُهُ يَكُونُ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَّنْ سَمِعَهُ" ، ثُمَّ قَالَ :
"أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟".

وفي صحيح البخاري عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: "لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا".
وفي صحيح البخاري أيضا عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: "إِنَّ مِنْ
وَرَطَاتِ الْأُمُورِ، الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ
بِغَيْرِ حِلِّهِ".

وأخرج البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ،
وَالتَّارِكُ لِدينِهِ الْمُفَارِقُ لِجَمَاعَةٍ".

الفائدة الحادية والعشرون: بيان حرمة مال المسلم.

لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا
أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ

رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ [النساء: ٢٩ . ٣٠]

وأخرج مسلم عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: "فلا تعطه مالك" قال: أرايت إن قاتلني؟ قال: "قاتله" قال: أرايت إن قتلتني؟ قال: "فأنت شهيد"، قال: أرايت إن قتلته؟ قال: "هو في النار".

أخرج مسلم أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "من قتل دون ماله فهو شهيد".

وحرم الله تعالى السرقة ورتب عليها حدا هو قطع اليد، فقال

سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مَنِ

اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ولعن النبي ﷺ السارق؛ فقال: "لعن الله

السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده" متفق

عليه.

وحرَمَ الغلُولَ والرِشوةَ؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً أصابه سهم يوم خيبر مع رسول الله ﷺ فَقَالَ النَّاسُ: هِنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا" والشملة كساء صغير يُتزر به .

الفائدة الثانية والعشرون: بيان حرمة الأعراض ووجوب حفظها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)

وقال ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" رواه البخاري ومسلم.

وفي الصحيحين في حديث طويل من حديث سَمُرَةَ بِنْتِ جُنْدَبٍ عن رسول الله ﷺ: أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، : فَأَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلَ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قُلْتُ لَهُمَا: مَا هُوَ لَآءِ؟ ثم أجابوه . : وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ التَّنُّورِ فَهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي.

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب عند الله أكبر ؟ قال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك ". قلت : ثم أي ؟ قال: " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " قلت: ثم أي ؟ قال: " أن تزاني بحليلة جارك . متفق عليه.

ومن ذلك قوله ﷺ: " إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ " رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

ومن ذلك قوله ﷺ: "إِذَا ظَهَرَ الزُّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ
كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" رواه الطبراني في المعجم الكبير
وصححه الألباني.

وأخرج أحمد عن أبي أمامة: أن فتى شاباً أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا
رسول الله ائذن لي بالزنى، فأقبل عليه القوم فزجروه وقالوا: مه مه،
فقال: ادنه فدنا منه قريباً فجلس، فقال: أتجبه لأمك؟ قال: لا والله،
جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتجبه
لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: ولا
الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتجبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني
الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتجبه لعمتك؟
قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال
أفتجبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس
يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر

قلبه، وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .
رواه أحمد وصححه الألباني والأرنؤوط.

الفائدة الثالثة والعشرون: وجوب حفظ الضروريات الخمس.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن
الشرعية وضعت للمحافظة على هذه الضروريات الخمس، وهي:

الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. [الموافقات: ٣١/١]

وفي الحديث موضوع الشرح يبين ﷺ ويؤكد على حفظ هذه
الضروريات أو على عدد كبير منها؛ قال الغزالي رحمه الله:

"إن مقصود الشرع من الخلق خمسة : أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم
وعقلهم ونسلهم وما لهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول
الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة
ودفعها مصلحة" [المستصفى ص ١٧٤]

انتهى والله وحده من وراء القصد

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد

بديع الإنشا بشرح حديث

" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .. "

أبو عاصم البركاتي المصري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ سيدنا محمد وآله
وصحبه ومن والاه وبعد:

أخرج البخاري ومسلم واللفظ له؛ في صحيحهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -
وهو ابن مسعود-، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ
الْمُصَدِّقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ
فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ
الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ،
وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ،
فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ

النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ
بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا " .

وأخرجه الترمذي (٢١٣٧) وأبو داود (٤٧٠٨) وابن ماجه (٧٦)
وأحمد في المسند (٣٦٢٤) (٤٠٩١) وغيرهم من طرق عن الأعمش
عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود.

فوائد الحديث:

فائدة (١): جواز واستحباب تأكيد الخبر ليقع بالتصديق في نفس
المخبر؛ ومن ذلك قول ابن مسعود حدثنا الصادق المصدوق أي
الصادق في قوله المصدوق فيما يأتيه من الوحي.

فائدة (٢): الحديث أصل في إثبات القدر؛ قال النووي في شرح
مسلم: وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا دَلَالَاتٌ ظَاهِرَةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ
فِي إِثْبَاتِ الْقَدْرِ وَأَنَّ جَمِيعَ الْوَأَقِعَاتِ بِقِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ خَيْرُهَا
وَشَرُّهَا نَفْعُهَا وَضَرُّهَا. اهـ

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان قال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال (أي جبريل عليه السلام): صدقت " .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٩) . وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب: ٣٨) ، وقوله: ﴿ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (الأنفال: ٤٢) .

وقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢) .
وقال: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ (الأعلى: ١-٣) .

وروى مسلم في صحيحه عن طاووس قال: " أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ، أو الكيس والعجز " .

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: " جاء مشركو قريش
يخاصمون

رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٨):
(٤٩) [مسلم والترمذي].

وأركان الإيمان بالقدر أربعة: وهي العلم والكتابة والمشية ثم
الخلق.

الركن الأول: علم الله الشامل الكامل.

قال تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢).

فَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ؛ سبحانه ﴿عَالِمِ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا
أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سبأ: ٣)

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤).

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: "سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين"

الركن الثاني: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء.

كما في "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.»

وفي حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِهَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.» (١)

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٣٣١٩) وأحمد (٢٢٧٠٥) وصححه الألباني.

وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ

ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحج: ٧٠)

وقال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ١٢)

الركن الثالث: الإيـان بمشيئة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ (التكوير: ٢٩) .

وقال: ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم

كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾ (الأنعام: ١١١) ،

وقال: ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ (الأنعام: ١١٢) ، وقال: ﴿ إنما

أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (يس: ٣٦) ، وقال: ﴿ من

يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ (الأنعام: ٣٩) .

الركن الرابع: الإيـان بأن الله خالق كل شيء.

قال تعالى: ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ (الزمر: ٦٢) ، ﴿ بلى وهو

الخالق العليم ﴾ (يس: ٨١) ، ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات

وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴿١﴾ (الأنعام: ١) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ: سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ - يعني القدر - التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ وَجُرْدِ الْعُقُولِ فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ وَتَاهَ فِي بَحَارِ الْحَيْرَةِ وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ النَّفْسِ وَلَا يَصِلَ إِلَى مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي ضُرِبَتْ مِنْ دُونِهَا الْأَسْتَارُ اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَوَاجِبْنَا أَنْ نَقِفَ حَيْثُ حَدَّ لَنَا وَلَا نَتَجَاوَزَهُ وَقَدْ طَوَى اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ الْقَدْرِ عَلَى الْعَالَمِ فَلَمْ يَعْلَمْهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ وَلَا مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَقِيلَ إِنَّ سِرَّ الْقَدْرِ يَنْكَشِفُ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَنْكَشِفُ قَبْلَ دُخُولِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

(١) شرح مسلم للنووي (١٦ / ١٩٦).

فائدة (٣): في الحديث دلالة على أن السنة من الوحي لأن مراحل تكوين الجنين في بطن أمه من الغيب لا سيما في ذاك الزمان؛ فلا بد أن الرسول ﷺ علم ذلك وحيًا من الله تعالى.

فائدة (٤): في الحديث دلالة على أن من السنة والحديث ما يأتي لتأكيد القرآن وهي السنة المؤكدة والموافقة للقرآن وهي قسم من أقسام السنة وهناك سنة شارحة للقرآن مبينة ومفسرة له؛ وسنة مستقلة بالتشريع؛ وذلك الحديث من السنة الموافقة للقرآن؛ لأنه موافق لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٦)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ
لِّنَّبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الحج: ٥).

وفي "الصحيحين" عن أنسٍ عن النبي ﷺ قال: «وَكَلَّ اللَّهُ بِالرَّحِمِ
مَلَكًا يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٍ، أَيُّ رَبِّ عَلَقَةٍ، أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٍ؟ فَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا، قَالَ: يَا رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا
الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

فائدة (٥) : وجوب الإيثار بالملائكة بأنواعهم؛ ومنهم موكلون
بتصوير النطف.

فائدة (٦) : رعاية الله تعالى وتكريمه للإنسان بأن وكل ملائكة
بالنطف والأجنة؛ وجعل له ملائكة يحفظونه قال تعالى: ﴿وَإِنَّ
عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١٠-١١).

قال الماوردي في تفسيره (٦ / ٢٢٣):

يحفظ كلُّ إنسان ملكان ، أحدهما عن يمينه يكتب الخير ، والآخر عن شماله يكتب الشر .

وقال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد : ١١) قال ابن عطية في تفسيره (٣ / ٣٠٠): «المعقبات»

على هذا الملائكة الحفظة على العباد أعمالهم، والحفظة لهم أيضا اه
ووكل الله سبحانه ملائكة يقبضون روحه عند موته وعلى رأسهم ملك الموت عليه السلام؛ وذلك تكريما للإنسان فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام : ٦١).

فائدة (٧): ومعنى "يجمع خلقه" يعني يُكَوَّنُ خلقه ؛ والنطفة هي ماء

الرجل والمرأة يلتقيان في الرحم .

والعلقة : هي تعلق النطفة بعرق في جدار الرحم لتتغذى من خلاله؛

حتى تنمو وتكبر .

والمضغة : تحول العلقة إلى ما يشبه اللقمة الممضوغة في الفم.
وكل مرحلة مدتها أربعين يوماً؛ وورد في بعض الأحاديث لحذيفة بن
أسيد الغفاري رضي الله عنه: "ثنتان وأربعين" وفي بعضها: "خمسة
وأربعين" وفي بعضها "لبضع وأربعين". ثم ينفخ فيه الروح بعد
الأربعين الثالثة، يعني لمائة وعشرين ليلة من استقرار النطفة في
الرحم.

قال بعض العلماء: معنى قوله: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه"
أن المني يقع في الرحم متفرقا فيجمعه الله تعالى في محل الولادة من
الرحم في هذه المدة، وقد جاء عن ابن مسعود في تفسير ذلك "إن
النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله تعالى أن يخلق منها بشراً طارت
في بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين ليلة ثم تصير دماً
في الرحم فذلك جمعها وهو وقت كونها علقة" (١).

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص ٣٨

فائدة (٨) : قوله "ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلِكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ" وفي رواية "

بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا" حديث ابن مسعود.

وفي رواية "يَدْخُلُ الْمَلِكُ عَلَى النُّطْفَةِ" وفي رواية أخرى "ثُمَّ يَتَصَوَّرُ

عَلَيْهَا الْمَلِكُ" من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ.

قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: " (يتصور) هكذا هو في جميع

نسخ بلادنا يتصور بالصاد وذكر القاضي: يتصور بالسين والمراد

بيتسور ينزل وهو استعارة من تسورت الدار إذا نزلت فيها من

أعلاها ولا يكون التسور إلا من فوق فيحتمل أن تكون الصاد

الواقعة في نسخ بلادنا مبدلة من السين" (١)

فائدة (٩) : قوله " وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكُتِّبَ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ،

وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ... " أي ويؤمر الملك بكتب هذه الأشياء وهو

التقدير العمري الذي يقدر للإنسان.

(١) حاشيته على صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٨).

فهناك من أنواع التقادير تقدير أزلي وهو كتابة المقادير قبل خلق
السموات والأرض؛ وتقدير عمري ودليله هذا الحديث موضوع
البحث؛ وتقدير سنوي وهو يكون في ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا
مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (الدخان : ٣ - ٥).

قال ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز" (٥ / ٦٨): وقال الحسن
وعمير مولى غفرة ومجاهد وقتادة: في ليلة القدر كل ما في العام المقبل
من الأقدار والآجال والأرزاق وغير ذلك، ويكتب ذلك لهم إلى مثلها
من العام المقبل. ١ هـ

والنوع الأخير من التقادير هو التقدير اليومي؛ وهو سوق المقادير إلى
المواقيت التي قدرت لها فيما سبق، قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (الرحمن: ٢٩).

فائدة (١٠) : قوله " بِكْتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ... " في حديث "أَيُّ رَبِّ أَدَّكَرُّ أَوْ أُنْتَى؟" (١) .

وفي حديث عن حذيفة بن أسيد كذلك : يَا رَبِّ أَسْوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ، فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ.

وفي لفظ لابن مسعود أخرجه مسلم : "بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَدَّكَرُّ أَمْ أُنْتَى؟"

إذن ورد في الباب : كتب ما يلي

(١) الرزق (٢) الأجل (٣) العمل (٤) شقي أو سعيد (٥) ذكر أم أنثى ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (الشورى : ٤٩).

(٦) أثره ؛ كما عند مسلم برقم (٢٦٤٤) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(١) حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم.

(٧) سَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ يعني معافى من الآفات والعياهات أم غير معافى.

(٨) السمع والبصر والجلد ؛ بما فيه اللون والشكل ؛ واللحم والعظام يعني الضخامة أم النحول والهزال ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ٦).

(٩) الطول والقصر والزيادة والنقصان والصحة والسقم ؛ أخرجه الإمام أحمد في المسند وفيه " أَقْصِرُّ أَمْ طَوِيلٌ؟ أُنَاقِصُ أَمْ زَائِدٌ؟ قُوَّتُهُ وَأَجَلُهُ؟ أَصَحِّحُ أَمْ سَقِيمٌ؟".

(١٠) المصائب؛ فقد أخرج أحمد في المسند من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ وفيه: " فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَثَرُهُ، وَمُصِيبَتُهُ، وَرِزْقُهُ...".

فائدة (١١): وجوب الرضا برزق الله للعبد ولا يطلب الرزق

إلا بالحلال.

قال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢)

وصح عنه ﷺ من حديث أبي الدرداء أنه قال: "إن الرزق ليطلب

العبد كما يطلبه أجله". وقال ﷺ: "إن الله قَسَمَ بينكم أخلاقكم كما

قَسَمَ بينكم أرزاقكم ..."

وقوله ﷺ: "يا أبا هريرة، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ" [الترمذي]

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ

اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ

رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا

حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ» (١).

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني.

وعليه فالغنى بقضاء الله وقدره والفقير كذا بقدره؛ فعلى العبد المؤمن أن يشكر في حال الغنى وأن يصبر في حال الفقر.

ولحكمة أرادها الله - سبحانه وتعالى - جعل هذا التقدير، والتقسيم للأرزاق خافياً على العباد مغيباً عنهم، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وذلك حتى يستمر قانون الأخذ بالأسباب وألا يتواكل العبد بداعي الإيمان بالقدر؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥)

قال ابن كثير في تفسيره (٨ / ١٧٩): أَي: فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَقْطَارِهَا، وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتَّجَارَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ لَا يُجِدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا، إِلَّا أَنْ يُسِّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فَالسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا حَيَّوَةَ، أَخْبَرَنِي بَكْرُ بْنُ عَمْرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هُبَيْرَةَ يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ أَبَا تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيَّ يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّكُمْ
تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا
وَتَرُوحُ بِطَانًا".

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَقَالَ
التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. فَأَثْبَتَ لَهَا رَوَاحًا وَغَدُورًا لِيَطْلُبَ الرَّزْقَ، مَعَ
تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الْمَسْخَرُ الْمُسَيَّرُ الْمُسَبَّبُ. اهـ

فائدة (١٢): وجوب الصبر على ما قدره الله من المصائب والبلاء؛
لأن ذلك لحكمة يعلمها الله؛ والإيمان بالقضاء والقدر يوطن العبد
على التسليم والرضا؛ وليعلم العبد أن الله ضمن الأجل المكتوب فلا
يزاد فيه ولا ينقص منه قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف : ٣٤) وقال جل

شأنه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١)؛ وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر: ٤٥) وفي الحديث: الذي عند مسلم برقم (٢٦٦٣) وفيه: "قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْتَعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابِ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ».

وعليه فعلى العبد المؤمن أن يوطن نفسه على الشكر في السراء والصبر في الضراء؛ ويسأل الله أن يعينه على ذلك؛ وأسوق بعض النصوص النبوية التي تبين فضل الصبر في الضراء لتثبيت النفوس وتطبيب

القلوب؛ ففي الترمذي عن أنس مرفوعاً: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ
الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ
سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» وعن عائشة مرفوعاً: "ما من مصيبة تصيب
المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشاكها" (١)

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: "ما يصيب المسلم من نصب
ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة
يُشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها" (٢)، وفي رواية لأبي هريرة
عند البخاري (٥٦٤٥): "من يرد الله به خيراً يُصب منه".

(١) البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢)

(٢) البخاري (٥٦٤١)؛ (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣)

وفي رواية لأبي هريرة عند ابن ماجه (٢٥٦٢) عن النبي ﷺ: " ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقي الله، وما عليه خطيئة". وإسناده حسن.

وعن عبد الله بن مسعود رفعه: " ما من مسلم يصيبه أذى، مرض فما سواه، إلا حط الله له سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها"^(١).

وعن سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: " الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٠)، ومسلم (٢٥٧١).

رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة" (١).

فائدة (١٣): الخوف من سوء الخاتمة.

قوله: "فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا".

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ:

حَضَرْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمَوْتِ يُلَقِّنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ فِي آخِرِ مَا قَالَ: هُوَ كَافِرٌ بِمَا تَقُولُ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ مُدْمِنٌ خَمْرٍ.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٥٦١)، والنسائي في "الكبرى" (٧٤٣٩).

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُومُ طُورَ لَيْلِهِ قَابِضًا عَلَى حَيْتِهِ، وَيَقُولُ:

يَا رَبِّ، قَدْ عَلِمْتَ سَاكِنَ الْجَنَّةِ مِنْ سَاكِنِ النَّارِ، فَفِي أَيِّ الدَّارَيْنِ
مَنْزِلُ مَالِكٍ؟ (١).

العبرة بالخواتيم

قال ابن دقيق رحمه الله:

الأعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة
ظاهرة جاء في الحديث: "إنما الأعمال بالخواتيم" (١) اهـ
وفي صحيح البخاري (٦٦٠٧) قول النبي ﷺ: «الأعمالُ
بالخواتيم». وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٧٣.

(١) شرح الأربعين ص ٣٩.

يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ، طَابَ
أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبُثَ أَعْلَاهُ، خَبُثَ أَسْفَلُهُ» (١).

وفي صحيح مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ
عَزَّ وَجَلَّ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَضْرِبُهُ حَيْثُ يَشَاءُ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

وفي الصحيحين البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي أن
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا
أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ
مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَخَرَجَ

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٢١١) برقم (٥٩٦) وابن حبان "موارد" (١٨١٩)
وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٧٣٤).

مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ
جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ
بَيْنَ تَدْيِيهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ:
الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آتِنَا: «أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ،
فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا،
فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ، ثُمَّ
تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الرَّجُلَ
لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ
الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»
وَفِي الصَّحِيحِينَ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
حُنَيْنًا، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَلَمَّا
حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آتِنَا: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَإِنَّهُ قَاتَلَ

الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَى النَّارِ»، فَكَادَ
بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ،
وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ، فَقَتَلَ
نَفْسَهُ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِلَا لَأ فَنَادَى فِي النَّاسِ: «أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ
مُسْلِمَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن عباس، قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ
بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ
ﷺ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ،
فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي
النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ -» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا
ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا

المؤمنون»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا
المؤمنون.

النهي عن ترك العمل اتكالا على ما سبق من القدر

وقد ثبتت الأحاديث بالنهي عن ترك العمل اتكالا على ما سبق من
القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد بها الشرع وكل ميسر لما
خلق له.

وفي الصحيحين عن عليٍّ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ
يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مِنْفُوسَةٍ،
إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ
سَعِيدَةٌ» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمُكُّثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ
الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ
السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»
فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ

السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ:
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا
مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: ٦).
وفي لفظ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَنْزِلَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ
مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى﴾ (الليل: ٦)، إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: ١٠).
وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
بَيْنَ لَنَا دِينًا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ،
وَجَرَتْ بِهِ الْمُقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ
وَجَرَتْ بِهِ الْمُقَادِيرُ» قَالَ: فَفِيمَا الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ
بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمُهُ، فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «اْعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ» [مسلم]
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ
الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ

الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ» مسلم

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ
الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ،
وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ» متفق عليه

وفيه زيادة: " **فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ** " فدل على أن هؤلاء اهل الرياء أو
النفاق.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

ولكن أبشروا فإن هذا الحديث مقيد، بأنه لا يعمل بعمل أهل الجنة
فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وأما الذي يعمل بعمل أهل الجنة
بقلب وإخلاص فإن الله لا يخذله عز وجل، والله أكرم من العبد،
فإذا عملت بعمل أهل الجنة بإخلاص (١). اهـ

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٩٣).

قال ابن حجر رحمه الله: قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ فِي "كِتَابِ الْعَاقِبَةِ" إِنَّ سُوءَ
الْخَاتِمَةِ لَا يَقَعُ لِمَنْ اسْتَقَامَ بَاطِنُهُ وَصَلَحَ ظَاهِرُهُ وَإِنَّمَا يَقَعُ لِمَنْ فِي طَوَيْتِهِ
فَسَادٌ أَوْ اِرْتِيَابٌ وَيَكْثُرُ وَقُوعُهُ لِلْمَصْرِ عَلَى الْكِبَائِرِ وَالْمَجْزِئِ عَلَى
الْعَظَائِمِ فَيَهْجُمُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَغْتَةً فَيُضْطَلِمُهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ تِلْكَ
الصَّدْمَةِ فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِسُوءِ الْخَاتِمَةِ نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ (١) اهـ

المؤمن لا يخلد في النار إن دخلها

قال ابن حجر: وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِطْلَاقِ دُخُولِ النَّارِ أَنَّهُ يُخَلَّدُ فِيهَا أَبَدًا بَلْ
مُجَرَّدُ الدُّخُولِ... (٢).

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: فِيهِ: أَنَّ ظَاهِرَ الْأَعْمَالِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ أَمَارَاتٍ
وَلَيْسَتْ بِمَوْجِبَاتٍ، وَأَنَّ مَصِيرَ الْأُمُورِ فِي الْعَاقِبَةِ إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ الْقَضَاءُ
وَجَرَى الْقَدْرِ (٣).

(١) فتح الباري ١١ / ٤٩٠.

(٢) الفتح ١١ / ٤٩٠.

(٣) أعلام الحديث ٢ / ١٤٨٣.

وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي" (١)

فائدة (١٤): حسن الخاتمة فضل من الله تعالى.

قوله "وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا".

وصح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله" قالوا: كيف يستعمله؟ قال: "يوفقه لعمل صالح قبل موته" (١).

وعن عمرو بن الحمق الخزاعي، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا أراد الله بعبده خيراً غسله قبل موته" قيل: وما غسله قبل موته؟، قال: "يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ" (٢).

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وصححه الحاكم في المستدرک.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه وقال الألباني: صحيح "الصحيحة" (١١١٤).

قصة أصيرم بني عبد الأشهل

وعن أبي هريرة، قال: كان يقول: حدثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يُصلِّ قطُّ فإذا لم يعرفه الناسُ سألوهُ: مَنْ هو؟ فيقول: أصيرمُ بني عبد الأشهلِ عمرو بنُ ثابتِ بنِ وقشٍ، قال الحُصَيْنُ: فقلتُ لمحمودِ بنِ ليبيدٍ: كيفَ كانَ شأنُ الأصيرمِ؟ قال: كانَ يَأبَى الإسلامَ على قومِهِ فلَمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى أُحُدٍ بدا له الإسلامُ فأسلمَ، فأخذَ سيفَهُ فغدا حتَّى أتى القومَ فدخَلَ في عَرْضِ الناسِ، فقاتَلَ حتَّى أثبتته الجِراحةُ، قال: فبينما رجالُ بني عبد الأشهلِ يَلْتَمِسُونَ قتلاهم في المعركةِ إذا همُ بِهِ، فقالوا: واللهِ إنَّ هذا للأصيرمُ، وما جاء؟ لقد تَرَكناه وإنَّه لمنكرٌ لهذا الحديثِ، فسألوهُ ما جاء بِهِ؟ قالوا: ما جاء بك يا عمرو، أهدبًا على قومِكَ، أو رغبةً في الإسلامِ؟ قال: بل رغبةً في الإسلامِ، أمنتُ باللهِ ورسولِهِ، وأسلمتُ، ثمَّ أخذتُ سيفي فغدوتُ مع رسولِ اللهِ فقاتلتُ حتَّى أصابني ما أصابني، قال: ثمَّ لم يلبث أن

مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " (١).

فهذا الرجل أمضى عمره كله في الكفر، ضد الإسلام وضد المسلمين، وكان خاتمته هذه الخاتمة، عمل بعض أهل النار، حتى كم يكن بينه وبينها إلا ذراع، فسبق عليه الكتاب، فعمل بعمل أهل الجنة، فكان من أهل الجنة.

قصة الصحابي الذي ختم له بالحج

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رجل واقف بعرفة، إذ وقع عن راحلته، فوقصته - أو قال: فأوقصته - قال النبي ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»

(١) أخرجه أحمد وهو حديث حسن.

ومعنى (فوقصته) من الوقص وهو كسر العنق ومثله (أوقصته)
من ايقاص والوقص أفصح.

روى الحاكم وغيره أن رسول ﷺ قال: "من كان آخر كلامه
لا إله إلا الله دخل الجنة".

وقوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها
دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ختم له بها دخل الجنة" رواه
الإمام أحمد وغيره.

والله من وراء القصد

دعاء كشف الكرب "اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"

أبو عاصم البركاتي المصري

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ -؟
اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".

تخريج الحديث:

أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، والنسائي في "السنن الكبرى" (١٠٤٠٨)، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وأحمد (٢٧٠٨٢)، وإسحاق بن راهويه في المسند (٢١٣٥)؛ والحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢٧٥٥).

وللحديث شواهد:

الأول عن ثوبان رضي الله عنه:

أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (١٠٤١٨) ومن طريقه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٣٣٥)؛ وأخرجه الطبراني في "الدعاء" (١٠٣١) وفي "مسند الشاميين" (٤٢٤) وابن المقرئ في "معجمه" (٨٧٢) وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (٢١٩/٥).

الشاهد الثاني عن عائشة رضي الله عنها:

أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٨٦٤) والطبراني في "المعجم الأوسط" (٥٢٩٠).

الشاهد الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أخرجه الطبراني في "الدعاء" (١٠٣٠) و في "الأوسط" (٨٤٧٤)
وفي "المعجم الكبير" (١٢/١٢٧٨٨)(١٢٧٨٨) وابن الأعرابي في
"معجمه" (٧٨٣) ولفظه: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ
بِعِضَادَتِي الْبَابِ ثُمَّ قَالَ: " يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِذَا نَزَلَ بِكُمْ كَرْبٌ أَوْ
جَهْدٌ أَوْ بَلَاءٌ فَقُولُوا: اللَّهُ اللَّهُ رَبُّنَا لَا شَرِيكَ لَهُ "

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠ / ١٣٧) : رواه الطبراني في
الأوسط والكبير، وفيه صالح بن عبد الله أبو يحيى وهو ضعيف.

فوائد الحديث:

(١) الإشارة إلى فضل الدعاء وعلو شأنه وبيان أثره في تفرج
الكرب؛ قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل

[٦٢:

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠)

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الدُّعَاءَ

هُوَ الْعِبَادَةُ" ثُمَّ قرأ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [صحيح أبي داود

[١٣٢٩)]

(٢) صدق اللجوء إلى الله عند الاضطرار والحاجة سبب لنجاة

العبد؛ قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ

فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ . وَزَكَرِيَّا إِذْ

نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا

لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا

رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٩٠] .

(٣) فضل الافتقار إلى الله والتبرؤ من كل حول وقوة إلا حول الله وقوته؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى في قصة موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

قال تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وكان النبي ﷺ يدعو ويقول: "اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" [أبو داود].

وأيضاً كان من دعاء النبي ﷺ في ركوعه: "اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت. خشع لك سمعي، وبصري، ونخي، وعظمي، وعصبي" [أخرجه: مسلم]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: "ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟! أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، وأصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً" (١).

(٤) بيان فضل التوحيد والتبرؤ من الشرك؛ والتوسل بتوحيد الله تعالى لتفريج الهم والضييق؛ وهو مستفاد من قوله ﷺ "أَلَلَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".

(١) أخرجه: ابن السنِّي في "عمل اليوم والليلة" رقم ٤٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٢٢٧).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ
الْكَرْبِ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" [متفق عليه]

وفي الحديث التالي دعاء النبي ﷺ وتقديمه فيه واستهلاله
بالافتقار إلى الله وتوسله بأسماء الله الحسنى، فقال: "مَا أَصَابَ
أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ
أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ،
أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ
خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ
عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ

حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ
فَرَحًا " [أخرجه أحمد].

(٥) قصة عظيمة لعبد الرحمن بن زياد الأفريقي رحمة الله عليه

قال الذهبي رحمه الله :

أَسْرَتْهُ الرُّومُ، فَقَدَّمَ لِيُقْتَلَ بَعْدَ قَتْلِ طَائِفَةٍ.

قَالَ: فَحَرَّكَتُ شَفَتِي، وَقُلْتُ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا أَتَّخِذُ
مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا.

فَأَبْصَرَ الطَّاغِيَةَ فِعْلِي، فَقَالَ: قَدِّمُوا شَمَّاسَ الْعَرَبِ، لَعَلَّكَ قُلْتَ: اللَّهُ

اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؟!

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ عََلِمْتَهُ؟

قُلْتُ: نَبِينَا أَمَرَنَا بِهِ.

فَقَالَ لِي: وَعَيْسَى أَمَرَنَا بِهِ فِي الْإِنْجِيلِ.

فَأَطَّلَقَنِي وَمَنْ مَعِيَ. [سير أعلام النبلاء للذهبي (٤١٢/٦)]

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

إقرأ للمؤلف

الأقوال النافعة

شرح الرسالة اللطيفة الجامعة

في أصول الفقه

إقرأ للمؤلف

فوائد إيمانية من الهجرة النبوية

تأليف

أبي عاصم البركاتي الأثري

إقرأ للمؤلف

حديث الآحاد عند الأصوليين

والرد على شبهات المنكرين

أبو عاصم البركاتي الأثري

إقرأ للمؤلف

أسلوب الحكيم في القرآن

والسنة النبوية

اقراً للمؤلف

سبيل المؤمنين في بيان حجية السنة

والرد على شبهات القرآنيين